المؤثرات الحضارية الفينيقية
على الحضارة اليونانية

د . ممدوح درويش مصطفى
مدرس الآثار اليونانية والرومانية كلية الآداب – جامعة المنيا

لم يكن المجتمع اليوناني القديم مجتمعا مغلقا، تنحصر قيمته الحضارية أساسا في المنطقة التي نشأ وأزدهر فيها على قسم من الشاطئ الشمالي للبحر المتوسط، بحيث لا لتتعدى هذه المنطقة لتتأثر بغيرها، إلا بشكل عابر أو جانبي، وإنما كان هذا المجتمع منفتحا على غيره من المجتمعات التي سبقته إلى النشاط الحضاري المزدهر، والتي ظهرت في منطقة الشرق الأدنى في مصر وسوريا ووادي الرافدين (العراق القديم)، وأسيا الصغرى، وقد ظهر تأثير الحضارات الكبيرة السابقة علي.

وفى هذه الدراسة نحاول أن نلقي الضوء على المنجزات الحضارية الفينيقية التي تأثر بها الإغريق.

لقد وفدت العديد من العناصر السامية إلى الإقليم السوري في موجات متتابعة، واستقرت في أنحاء مختلفة منه، ومن بين هذه العناصر كان الكنعانيون (الفينيقيون)، وذلك حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وقد أستقر هؤلاء الكنعانيون على ساحل الإقليم السوري، وأطلق عليهم اليونان أسم الفينيقيين، وظلوا يمارسون نشاطهم في هذه المنطقة حتى منتصف القرن الأول قبل الميلاد تقريبا[1].

ولقد أطلق الإغريق القدامى على هذه المنطقة أسم فينيقيا، وهى التي تشغلها الآن المناطق الساحلية من سوريا ولبنان وفلسطين المحتلة، ويمثل

نهر الفرات الحدود الشمالية له، بينما يشكل جبل الكرمل حدوده الجنوبية، وجبال لبنان حده الشرقي والبحر المتوسط حده الغربي[٢] (خريطة رقم١).

وكان الفينيقيين أول أمة بحرية في التاريخ، أخذوا يجوبون البحار وينشئون الطرق البحرية بين الشرق والغرب، كما أنشأوا المستعمرات ونشروا حضارتهم، وحضارات غيرهم من مختلف الجهات، ولذلك كانوا من أشهر شعوب العالم القديم، فقد كانوا بحارة مهرة، وتجارا ومكتشفين، وأقاموا مستعمرات على امتداد حوض البحر المتوسط[٣].

ولقد تأثر الإغريق بهم تأثرا هائلا، وصل إلى حد الانبهار الشديد، ونظروا إليهم على أنهم أصحاب حضارة عظيمة، وفضل وتقدم، ونسبوا إليهم اختراع الصباغة بالأرجوان، واكتشاف صناعة الزجاج، واكتشاف نظرية الذرة، وتأسيس المدن الرائعة، وبناء المعابد الضخمة، وأختلط أعجاب اليونانيين بالفينيقيين بالحقد أحيانا، وبالتنافس والصراع والحرب أحيانا أخرى، ولكنهم أفادوا منهم إفادات عظيمة، أبرزها أنهم أخذوا عنهم أبجديتهم (الألف باء)، وهى التي تطورت منها الأبجدية الرومانية وباقي الأبجديات الغربية[٤].

أصل تسمية فينيقيا والفينيقيين:

أختلف العلماء اختلافا شديدا حول أصل تسمية "فينيقيا والفينيقيون" التي أطلقها الإغريق عليهم، وعلى الرغم من أن الفينيقيين أنفسهم لم يستخدموها قط، وإنما حافظوا على أسم الكنعانيين، وأسموا بلادهم كنعان، واعتزوا بهذا الاسم ولقد أشارت إليهم التوراة بنفس هذا الاسم[٥].

حتى عندما هاجروا احتفظوا بنفس التسمية، فقد أجاب مجموعة من الفلاحين القديس أوغسطين St. Augustine (الكاتب الروماني المعروف،

وهو من أبناء شمال أفريقيا) في إقليم طرابلس الغرب بأنهم كنعانيون (شعائيون حسب النطق الكنعاني) عندما سألهم عن أصلهم[٦].

ومن المرجح أن اسم الكنعانيين يرجع إلى اسم حوري، معناه أرجواني، وربما كان أصله ساميا، معناه الأرض المنخفضة، لقرب موطنهم من مرتفعات لبنان، وربما كانت كلمة كنعان مشتقة من الفعل السامي خع[٧] Kana

وقيل أن المصريين القدماء كانوا قد استخدموا كلمة "فنحو" منذ عهد الدولة القديمة (٣١٠٠-٢١٨٤ ق.م) للدلالة على شعب الإقليم السوري (بين جبال طوروس شمالا، وسيناء جنوبا، والبحر المتوسط غربا، والبادية وبلاد النهرين شرقا) ويبدو أن الإغريق استخدموا نفس الكلمة "فنحو" وحوروها إلى فينيقيين، ولعل أحد رؤساء القبائل الكبار من الكنعانيين وأسمه فينيقس Phoenix هو سبب التسمية[٨]، وطبقا لرواية فيلون عن نظرية التكوين الفينيقية "سانخونياتون" (Sanchoniaton)، فأن أسمه الحقيقي هو "كناغ" وأنه شقيقا لأوزوريس[٩].

ومن المحتمل أنم يكون الإغريق قد أطلقوا أسم الفينيقيين عليهم، نظروا لوجوههم النحاسية التي لفحتها الشمس، أو نظرا للون الصبغة الأرجوانية التي أستخرجها الفينيقيون من بعض قواقع البحر، أو نسبة للنخلة التي تنبت على سواحلهم، ومنها جاء البلح الذي حملوه معهم إلى بلاد اليونان[١٠].

وربما كان هذا الاسم "فينيقيين" لصيقا بهم، وذلك لأن أصولهم ترجع الى الجزيرة العربية وبالتحديد من قبائل حمير، فجاءت تسميتهم منها ومعناها "الحمر" وليس هذا مستبعدا، فعادة ما تحافظ الجماعات السكانية على أصل تسميتها، ولا تتبرأ منها، فمثلا هناك قرية بالقرب من دمشق أسمها

الحميريون، نسبة إليهم ذكرها ابن عسكر وياقوت الحموي، ولكنها خربت الآن[١١].

وكذلك من المحتمل أن يكون البحر الأحمر قد سمى بهذا، نسبة إليهم، فقد ذكر هيرودوت أنهم جاءوا من البحر الأحمر (الأرثيرى)[١٢]، ولقد أشار استرابون أن سكان الخليج العربي أكدوا أنهم يسمون بعض المدن باسم صيدا وصور وذكر أن معابدهم تشبه معابد الفينيقيين[١٣].

ومن المعروف أن الحميريين، كانوا يشكلون فى الفترة من ٢٠٠ق٠م، إلى ٥٠٠م، أشهر تكتل عرقي وسياسي في جنوب شبه الجزيرة العربية، وامتدت أراضيهم من باب المندب وحتى حضرموت[١٤].

ويبدو أن لغة الحميريين "العربية الجنوبية القديمة" كانت اللغة الأم للفينيقيين، كما أن الكتابات التذكارية التي وجدت في النقوش الحميرية لها بعض الصلات مع الكتابات الفينيقية والعربية[١٥].

أيضا كان المصريون القدماء يطلقون على مملكة حمير أسم بلاد البون، وهو لفظ قريب من لفظ البونيين، الذي أطلقه الرومان على سكان قرطاجة الذين ترجع أصولهم إلى الفينيقيين، زد على ذلك أن الحميريين قد سبقوا الفينيقيين فى أقامة علاقات تجارية مع الهند وأفريقيا، وعندما استقر الفينيقيون على الساحل السوري مارسوا نفس النشاط التجاري في حوض البحر المتوسط[١٦].

وهكذا فان أصحاب هذا الرأي يذكرون أن هناك جماعة من الحميريين وفدت إلى الساحل السوري واختلطت مع القبائل الكنعانية ، فظهر ما يعرف باسم الشعب الفينيقي.

وأخيرا، فان وثائق أوغاريت تؤكد أن الفينيقيين جاءوا من سيناء، أو من النقب نحو الشمال[١٧].

مما سبق يتضح أن هناك اختلافا كبيرا بين العلماء حول الفينيقيين وأصلهم، ولكن هناك بعض الملاحظات:

أولا: إن تسمية الفينيقيين بهذا الاسم، نسبة إلى الصبغة الأرجوانية التي اكتشفوها وبرعوا فيها، من الصعب التسليم به. فلا يمكن أن مدينة أو بلدا أو شعبا أن يتخذ اسمه من سلعة أو منتج محلى بل العكس هو الصحيح، فدمشق والموصل أكسبتا منتجاتهما اسميهما، ولكن من ناحية أخرى فهناك مدنا أخرى أطلق عليها الإغريق أسماء لمنتجاتها، فمدينة جبيل الفينيقية التي اشتهرت بتصدير ورق البردي، أطلق عليها الإغريق أسم بيبلوس Byblos "مخزن الورق" أو القرطاسية). ومدينة تدمر، أسماها الإغريق بالميرا نسبة إلى النخيل المثمر (النخلة Palm)[١٨].

ثانيا: إن محاولة ربط الفينيقيين مع الحميريين من الصعب قبولها، فالفينيقيون ظهروا واستقروا على الساحل السوري، منذ حوالي منتصف الألف الثالثة ق٠م، في حين أن الحميريين أو القبائل الحميرية "ظهرت وتفوقت في جنوب الجزيرة العربية، منذ حوالي القرن الثاني ق. م فقط، أي أن الفينيقيين كانوا أسبق حضاريا وتاريخيا من الحميريين.

ثالثا: إن كلمة فينيقي ليس لها وجود في الكتابات الكنعانية، أو الآرامية القديمة، مما يشير إلى أنها قد أدخلت معجميا في فترات لاحقة على استخدام اللفظة اليوناني، غير أن هذا لا ينفى كونها استخدمت في فترة حديثة نسبيا.

رابعا: استنادا إلى وجود جذر ممكن لاشتقاق التسمية الآرامية والسريانية "فنق"، وكذلك في الكلدانية، فأنه يكون من المعقول أن التسمية

اشتقت منه – ولكن في زمن متأخر نسبيا – والجنر له مدلول: الترف والتنعم والدلال، وكلمة فينيق في العربية تعنى الفحل والمكرم والنبيل. ولاشك أنها تحتمل المعنى نفسه فى اللغة الكنعانية، ولقد كان الفينيقيون بالفعل شعبا مترفا منعما، فلا نستطيع استبعاد هذه التسمية بهذا المدلول، وقد تكون أطلقت عليهم من قبل جيرانهم الآراميين في داخل سوريا ثم استخدمها الإغريق[١٩].

نبذة عن تاريخ الفينيقيين:

لقد سبق القول أن الفينيقيين قديما عرفوا بالكنعانيين، أيضا عرفوا باسم الصيداويين، نسبة إلى مدينة صيدا الفينيقية، وقد كانت فينيقيا ملتقى طبيعيا للحضارات الوافدة، وخاصة من مصر نظرا لوقوعها على الطريق الرئيسي للحركة بين مصر جنوبا وأسيا الصغرى وبلاد الرافدين شرقا. فمنذ عهد الدولة المصرية القديمة (٣١٠٠-٢١٨١ق٠م)، كانت هناك علاقات تجارية بين مصر وفينيقيا خاصة مدينة بيبلوس (جبيل)، التي كانت تحتل مكانا رئيسيا في العلاقات المصرية الفينيقية، حيث كانت مصر تستورد منها خشب الأرز والخمور والزيوت مقابل الذهب والمصنوعات المعدنية[٢٠]. واستمرت العلاقات التجارية بينهما منتظمة فى عهد الدولة الوسطى (٢١٣٤-١٧٨٦ق٠م)، والدليل على ذلك بردية سنوهى التي ترجع إلى نهاية عهد أمنمحات الأول، وبداية عهد سنوسرت الأول[٢١]، وفى عهد الدولة الحديثة دخلت هذه المنطقة (فينيقيا) في سلطان النفوذ المصري، ولكنها خرجت عن سيادتها بعد ذلك[٢٢]، ولقد تعلم الفينيقيون من المصريين معظم طرق صناعة المعادن (السبك والطرق والحفر سواء على الذهب أو الفضة)، وكذلك النحت على العاج وصنع قطع الأثاث، وحدث تأثير وتأثر متبادل في الفكر الديني[٢٣].

ولم يكن التأثير الحضاري لبلاد النهرين على فينيقيا أقل من التأثير المصري، وكان ملوك بلاد النهرين الأقوياء يحصلون على خشب الأرز من هذا الإقليم، كما حدث في عهد جوديا ملك لجش السومري، بل ويحتمل أن سوريا الشمالية خضعت لسرجون الأول ملك آكد، والى نارام – سن (ثالث خلفائه حوالي ٢٢٣٨ ق.م) على أن خضوعها بصفة حاسمة لدول بلاد النهرين لم يحدث إلا في عهد الأشوريين، فقد أستطاع تجلات بلاسر الأول، ملك آشور أن يفرض سلطانه عليها، وما لبث الآراميون أن غزوا ممتلكاته فيها، ولكن آشور بال (احد خلفائه) تمكن من استرجاعها، وفى عهد وريثه الثالث شلمنصر الثالث، تكون حلف ضده من المدن السورية، ومن ملك دمشق (٨٥٣ ق.م)، ولكنه أنتصر عليه، إلا أن انتصاره لم يكن حاسما[٢٤].

وحينما أعتلى تجلات بلاسر الثالث عرش آشور قام بعدة حملات لفتح سوريا ثم أستطاع أبنه شلمنصر الخامس أن يجتاح المدن الفينيقية فيما عدا صور ولكن في عهد سنحريب تمكنت آشور من الإستيلاء على معظم الإقليم السوري بما في ذلك صور نفسها، وفى عهد خلفه أسر حدون، قامت صيدا بالثورة، ولكنه خربها، وقتل ملكها، وأخضع بعض مدن فينيقية أخرى، كانت تتزعمها صور. وبعد ذلك استطاعت صور أن تتخلص من السيادة الأشورية فترة قصيرة، إلا أن أسر حدون وخلفه أشور بانيبال تمكنا في النهاية من مد إمبراطوريتهما إلى البحر المتوسط[٢٥].

وعندما أصبح الكلدانيون حكام بابل بعد أشور، أدعوا أنهم ورثوا السيطرة على سوريا، وفى نفس الوقت أرادت مصر أن تفرض سيادتها على سوريا، وكانت المدن الفينيقية أميل للاعتراف بسلطان مصر بدلا من الاعتراف بالسيادة البابلية ، وفي عام ٥٨٧ق.م وصل نبوخذ نصر ملك بابل

إلى سوريا، وأعاد فتح المدن الفينيقية، وحاصر صور ثلاثة عشر عاما حتى خضعت له ، وبعدئذ أخضع الفرس الإقليم السوري لسلطانهم، وقد ازدهرت بعض المدن الفينيقية في عهدهم حيث سمحوا لكل منها بالاستقلال الذاتي[٢٦].

وهكذا فقد تأثرت فينيقيا بالحضارتين السومرية والبابلية منذ الألف الثالثة ق٠ م، وخاصة الكتابات وطريقة توثيق المعاملات المختلفة، إذ كان أمراء فينيقيا يكتبون بالخط المسماري ويختمون مستنداتهم بأختام بابلية، وتأثر الفينيقيون بالأساطير البابلية عن الخلق والآلهة[٢٧].

أيضا تشير الآثار التي اكتشفت في مدينة أوجاريت (رأس شمرا حاليا) مدينة الفينيقيين الشمالية[٢٨] (٢٨)، إلى أنها كانت على اتصال بحضارة كريت منذ حوالي ١٩٠٠ق٠م، ولقد كانت مركز نشاط تجارى وصناعي منذ بداية العصر التاريخي، بل وربما قبل ذلك أيضا، ويتضح من آثارها كذلك أنها في أثناء الألف الثالثة ق٠م كانت تحت تأثير سومري وبابلي كبير ، ثم أصبحت منطقة للنفوذ المصري في أثناء الجزء الأكبر من الألف الثاني ق٠م، ثم تقلص عنها النفوذ المصري في عصر البرونز (أي الجزء الأخير من الألف الثاني ق٠م)، ويبدو أنها قد تعرضت للتدمير نتيجة زلزال في هذا الوقت وبدأت تدخل مرحلة من الضعف والتخلف[٢٩]. وبصفة عامة تمتعت فينيقيا بالسلطة والثراء ، ونشرت مستوطنتها في قبرص (في القرن الثاني عشر ق٠م) ووصلت تجارتها إلى جميع سواحل البحر المتوسط ، وسيطروا على تجارته، وأنشئوا المستعمرات على الساحل الشمالي لأفريقيا والساحل الغربي لصقلية، وعلى امتداد الساحل الجنوبي لأسبانيا عبر مستعمرتهم قرطاجة، كبرى مستعمراتهم في الغرب بعد أن أنشأها جماعة من صور نحو ٧٥٠ق٠م، بل يمكن القول أن غرب البحر المتوسط أصبح بحيرة فينيقية[٣٠].

ولقد تحكم الفينيقيون في تجارة سواحل أفريقيا الشمالية وغرب أوروبا، ويقال أنهم وصلوا إلى جنوب غربي بريطانيا واشتغلوا بالتعدين في مناجم القصدير هناك، وأبحروا حول أفريقيا فى القرن السابع ق٠م[٣١].

ولقد وصل الفينيقيون إلى كورنثة وطيبة في بلاد اليونان، ولقد ورد ذكرهم عند أقدم الكتاب هناك: هوميروس، الذي وصفهم بأنهم حرفيين مهرة، وتجارا، وبحارة[٣٢]، وهيرودوت الذي استفاض في الحديث عنهم وديودوروس وغيرهم.

وعندما صارت فينيقيا جزءا من إمبراطورية الفرس في عهد داريوس، ازدهرت تحت حكم الفرس، وزادت أهمية صيدا ، وشارك الفينيقيون كبناة سفن وبحارة في الحروب الفارسية (٤٩٠ -٤٧٩ق٠م)بين الفرس واليونانيين، وكان أسطولهم هو الساعد الأقوى للفرس ، فقد ذكر هيرودوت أن الأسطول الفينيقي كان ضمن أسطول اكسركيس Xerxes ملك الفرس وكان يضم ثلاثة قادة (صورى وصيدونى وأروادى) في حملته على اليونان (عام ٤٨٠ ق٠م) وكان ملك صيدا هو القائد الثاني في هذا الأسطول[٣٣].

وقد أحتل الإسكندر المقدوني فينيقيا عام ٣٣١ ق٠م، ثم أصبحت جزء من المملكة السيلوقية إلى أن ضمها القائد الروماني بومبي Pompius إلى الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت فينيقيا جزءا من ولاية سوريا الرومانية.

مظاهر تأثر اليونانيين بالفينيقيين:

نظرا لأن اليونانيين كانوا شعبا ركب البحر، وانتشرت تعاملاته التجارية مع شعوب حوض البحر المتوسط، فقد آثر فيهم الفينيقيون، تأثيرا كبيرا، لأن المراكز الفينيقية كانت بمثابة القلب الذي يضخ الدم في شرايين حوض البحر المتوسط، ويبعث الحياة فيه. هذا التأثير الطاغي، وشعور

اليوناني بالدونية وتفوق الفينيقيين، جعل الإسكندر المقدوني، بعد انتصاره على الفرس عند أيسوس في شمال سوريا ، لا يحتمل فكرة التفوق الفينيقي واستقر في نفسه أن الهيمنة الإغريقية لا يمكن أن تكون شاملة، طالما أن هؤلاء التجار الأثرياء يحتفظون باستقلالهم وامتيازاتهم التجارية، ولذلك رأى قبل توغله في شرق آسيا، أو ذهابه إلى مصر، انه لابد من السيطرة على تلك المدن الفينيقية، وبالفعل تم له ما أراد.

وقد ظهر تأثر الإغريق بالفينيقيين من خلال عدة مظاهر:

١- **الصباغ الأرجواني:**

اشتهرت صيدا بصباغ الأرجوان، كما عرفت صور بصباغ الأرجوان وصناعة النسيج المصبوغ به، كما عرفوا نسيج الملابس من الصوف والكتان وصبغتها وأشتهر الثوب الفينيقي بين الإغريق باسم الخيتون[٣٤]. ولقد دهش اليونانيين من ذلك الصباغ الأرجواني والنسيج المصبوغ به، وأشارت نصوص أوجاريت إلى وجود وكالات فينيقية للأقمشة المصبوغة بالأرجوان في العالم اليوناني الروماني بصورة رئيسية، فقد كان للصباغ الأرجواني أهمية كبيرة زمنا طويلا هناك. وظل لهذا الصباغ ارتباط وثيق بفكرتي السلطة والثراء، بل قد ارتفعت أثمان هذه المنسوجات مع تزايد الإقبال عليها، حتى أصبحت من ملابس الملوك وعلية القوم ورمزا لهم، فكان الواحد منهم يوصف بأنه مولود في الأرجوان[٣٥].

ولقد ذكر هوميروس في الإلياذة واصفا أندروماخي بأنها تنسج على النول، داخل قصرها العالي معطفا أرجواني اللون وتنثر عليه رسوما مختلفة[٣٦].

وقد عرف اليونانيين للفينيقيين فضلهم في ابتكار هذا الصباغ الأرجواني، وربما ارتبط ذلك بأسطورة تذكر: أن الإله "ملقارت" نفسه قد أكتشفه صدفة، حين كان يتنزه على الشاطئ ورأى أنف كلبه أكتسب لونيا أرجوانيا من الأصداف. ولقد عرف هذا النوع من الأصداف باسم المرئيق Murix أو أصداف الأرجوان[٣٧]. ولقد أسهب بلنيوس الأكبر في كتابه التاريخ الطبيعي Naturales Historiae في الحديث عنها، ولقد عثر في أطراف المرافئ الفينيقية على أكوام هائلة من الأصداف مما يدل على المدة الطويلة التي عاشتها صناعة الصباغ الأرجواني في المدن الفينيقية، وكان البحارة الفينيقيون يجمعون الأصداف في مراكز أقاموها لهذه الصناعة فى مناطق كثيرة من سواحل المتوسط، ويبدو أنهم استطاعوا ولمدة طويلة كتمان سر هذه الصناعة، وبالتالي احتكار الإنتاج.

إلا أن هناك معلومات عامة دونها بعض الكتاب من ذلك العصر، يفهم منها، انه لم يكن يستخرج من كل صدفة سوى بضع قطرات من العصارة الملونة الموجودة في غدة كامنة، وكانوا يعرفون تماما موقع هذه الغدة في القوقعة، وبالفعل فإن الأصداف التي عثر عليها وجدت مثقوبة من جانبها، ولابد أن هذا الثقب كانت تستخرج منه الغدة الثمينة مباشرة، وللحصول على الصباغ الأرجواني الجميل كانوا يتركون الخلاصة تتعفن في الشمس[٣٨]. وكانت المدن اليونانية المختلفة من أشهر الأسواق التي صدر إليها الفينيقيون صباغهم ومنسوجاتهم.

٢- اكتشاف الزجاج:

بلغ تأثر اليونانيين بالفينيقيين حدا جعلهم ينسبون إليهم كل اختراع نافع مفيد، فقد نسب بلينيوس إليهم أخترع الزجاج بقوله "تزل بعض التجار ذات

مرة إلى الشاطئ ليعدوا طعاما لهم، فلما لم يجدوا أحجارا يهيئون بها موقدا لهم، استخدموا بعض كتل من كربونات الصوديوم، التي كانت معهم، فلما اختلطت برمال الشاطئ مع الحرارة الشديدة من النار، تحولت إلى مادة رائعة، فلما بردت كانت هي الزجاج[٣٩]. وذكر استرابون "أن الساحل الشهير الذي يحتوى على رمال صالحة تماما للزجاج هو ساحل المنطقة بين عكا وصور"[٤٠].

ولقد أشتهر الفينيقيون بصناعة الأواني الزجاجية ، ومن أمثلتها أناء زجاجي ذو مقبضين، فى متحف بيروت، يعود إلى حوالي ١٠٠٠ ق٠م (شكل ٢)، ونلاحظ في هذا الإناء أنه على شكل أمفورا بقاعدة، وهو مزخرف بأشكال هندسية عبارة عن خطوط متعرجة على بطن الإناء.

٣- بناء المدن ونظامها السياسي:

كذلك تأثر اليونانيين بأنماط الفينيقيين فى بناء المدن وشكلها ونظامها السياسي، فكانت المدن الفينيقية، مثل صور وصيدا وبيروت وجبيل، تعتمد نظاما اتحاديا مع مستعمراتها، بحيث تكون المدينة الأم مركز الحركة لنشاط هذه المستعمرات، وحارس الأمن لها، فالمستعمرات التي أسستها صور، ظلت تابعة لها، تقدم لها المساعدات المالية والنذور لهيكلها ، وكان لكل مدينة مستعمرات في البحر، لها قوى ومراكز تجارية فى البر تتبعها كأملاك عامة[٤١].

ولقد عاش الفينيقيين في دويلات، أو دول مدن، من دون وحدة يحكم كل منها ملك من القرن التاسع ق٠م، ثم ظهرت مجالس الشيوخ لتشارك الملك السلطة، وبعضها صارت أكثر منه نفوذا، ثم حدث تطور في مجلس الشيوخ، وازدادت سلطة أعضائه، فكان في مقدور أعضائه في مدينة صور

مثلا أن يتخذوا قرارا في غيبة الملك، وفي صيدا كان فى استطاعتهم متى شاءوا أن يتخذوا قرارات ضد قرارات الملك، ولقد ورد فى التوراة ذكر لوجود مجلس الشيوخ فى جبيل[٤٢].

وفيما بين القرنين السادس والخامس ق.م قامت فى المدن الفينيقية حكومات الأقلية أو الأوليجاركية، ولم يتمكن الفينيقيون من تأسيس دولة قوية موحدة، بل ظلوا ينتظمون فى مدن متفرقة ، كذلك كان اليونانيين يعيشون فى مدن مستقلة وتمسكوا طيلة تاريخهم بنظام دولة المدينة وفشلت كل محاولات المدن اليونانية الكبرى لفرض الوحدة على العالم اليونانى[٤٣].

٤- السفن الحربية والآلات الحرب وفنونها:

لقد ذهل اليونانيين وهم يرون السفن الفينيقية ذات الشكل المستطيل، وذات المؤخرة المرتفعة والمقدمة المجهزة بكتل حديدية ، تشبه سكة المحراث، لتحطيم سفن الأعداء، عند اصطدامها بها وقد تميزت هذه السفن بالخفة والسرعة وإمكان السير فى جميع الاتجاهات، عند المناورة مع الأعداء واعتمادها على المجاديف بدلا من الأشرعة التي تستعملها السفن التجارية، وكانت فى أول الأمر تعتمد على صفين من المجدفين، أحدهما يعلو الأخر، ثم تطورت، فأصبحت ثلاث طبقات أو أربع إلى تسع، تتسع الواحدة لمائة ملاح تتوافق حركاتهم معا[٤٤].

ولقد تعلم اليونانيين منهم صناعة السفن الفخمة والاسترشاد بالنجم القطبي Phoenix، وقد ذكر ديودوروس[٤٥]: "أن أهل صور كانوا بحارة مهرة، بنوا آلات حرب مبدعة ولكي يصدوا قذائف المنجنيق، ابتكروا مروحة، تدور لها أذرع عديدة ، كانت تبطل مفعول القذائف أو السهام ، كذلك كانوا يستخدمون أشكالا من الشصوص يشبكون الجنود، الذين يقتربون

من السو، ويجرونهم إلى أعلى بالحبال، فيصيبهم زملائهم بالسهام، كما كانوا يستعملون شباك الصيد لاقتناص أعدائهم، وابتكروا أيضا دروعا من نحاس وحديد كانوا يملئونها بالرمل، ويعرضونها للنار حتى يحمر الرمل، ثم يقذفونها بآلة خاصة على المهاجمين، فيحرقون دروعهم الجلدية، وثيابهم وأجسادهم ، كما كانوا يقذفون أعدائهم بحمم من الحديد المحمى فى النار".

ولقد اقتبس الإغريق من الفينيقيين كثيرا من فنون الحرب وآلاتها، والدليل على ذلك اهتمام ديودوروس بهذه التفاصيل الدقيقة السابق الإشارة إليها.

٥- المعادن والأواني:

اهتدى الفينيقيون إلى معادن البحر المتوسط فاستثمروها، وجلبوا القصدير من الجزر البريطانية والنحاس من قبرص، وكانت مصانع صيدا هى الوسيط بين هذين المعدنين، فاشتهرت بإنتاج البرونز وجلبوا الرصاص وجلود الحيوانات وبادلوا سكان هذه الجزر بمصنوعات من الخزف والبرونز وبالملح، أي أنهم استبدلوا المواد الخام الأولية بمواد صناعية[٤٦].

ولقد تعلم اليونانيين من الفينيقيين نظام المقاييس والمكاييل ، كما تعلموا منهم استعمال الأواني المذهبة المصنوعة من ذهب أو فضة ، أو تلك المصنوعة من البرونز، ولقد علمهم الفينيقيون كذلك استعمال الأنسجة الرقيقة والعطور، وعودوا ربات البيوت على التوابل للأطعمة، وما ذلك إلا من أجل أن يكون لهم أسواق للمنتجات فى صيدا وجبيل وصور[٤٧] (٤٧) . ويذكر هوميروس فى الإلياذة: "كانت الثياب الناضرة المصنوعة بإتقان من عمل النساء الصيدونيات، ولقد أحضرها البطل الكسندروس من صيدون، مجتازا البحر الواسع فى رحلته التي شارك فيها فى استعادة هيلينا عريقة الأصل"[٤٨].

أيضا كان صاغتهم يبتكرون أعمالا متقنة أعجبت الخبراء فى مجالهم، يذكر هوميروس فى الإلياذة أن كأسا قدمت جائزة فى سباق من الفضة الرائعة لا يتجاوز ستة مثاقيل ولكن روعتها تفوق آنية الأرض جميعا، صنعها الصاغة المهرة وجلبوها معهم ليعرضوها فى الموانئ[٤٩].

٦- الطب:

أصبح الطب المصري والبابلي لدى الفينيقيين حرفة لها مراكز استشفاء، وكان هناك رجال بلغوا شهرة عالمية، منهم أسكلابيوس وماكيون، ويوجد معبد قرب صيدا يحمل أسم اشمون بن صديق وهو أسكلابيوس نفسه، إذ يرى داماشيو الدمشقي، فى القرن الخامس الميلادى، إن أسكلابيوس هو أشمون ذاته، وماكيون هو ماجو، وهما أسمان فينيقيان مألوفان"[٥٠]. بل أن الأفعى والكأس رمزا العقاقير الطبية (الصيدلة) كان الفينيقيون خلف هذا الشعار، فقد كانوا هم الملهم الأول لمبتكري العقاقير الطبية[٥١].

أيضا ذكر بوزنياس "أن أحد أبناء صيدون ذكر له أن الشفاء يتم بالهواء، والهواء هو أسكلابيوس أما أبوللو فهو الشمس[٥٢] "وذكر فيلوستراتوس: "أن الفينيقيين فى مدينة قادش كانوا على خبرة تامة بعلاقة المد والجزر بحركة القمر ومعها تنشط الأمراض أو تزول"[٥٣].

٧-الانتشار والسيطرة على البحر المتوسط:

إضافة إلى التأثيرات الفينيقية السابقة على الإغريق، كان هناك تأثير آخر مباشر، إذ أنتشر الفينيقيون فى حوض البحر المتوسط، ولم يكتفوا بإنشاء مستعمرات ومحطات تجارية فى أوروبا وأفريقيا بل قيل أنهم وصلوا إلى القارة الأمريكية قبل كريستوفر كولومبس ب٢٥٠٠ سنة[٥٤]. كذلك وصلوا إلى أبيزا Ibiza عام ٦٥٤ ق.م، بين شبه جزيرة أيبيريا وسردينيا، خاصة الركن

الجنوبي منها، ولقد عثر على تمثال رائع لعشتروت هناك عليه نقوش فينيقية (شكل ٤) وتركوا أثارا مازالت بقاياها قائمة هناك (شكل ٥).

ولقد أنتشر الفينيقيون فى مناطق كثيرة من البحر المتوسط ، أذ يذكر ثوكيديدس: "أحتل الفينيقيون مراكز متقدمة فى البحر، حول كافة أرجاء جزيرة صقلية واحتلوا الجزر الصغيرة الواقعة قرب الشاطئ، لكي يمارسوا التجارة مع سكان صقلية الأصليين"[٥٥]. ومن مدنهم الهامة فى صقلية، مدينة موتيا Motya التي حلوا بها منذ القرن الثامن ق.م، كما أسسوا مدينة سولكيس Sulcis فى القرن السادس ق.م، للتصدي للتوسع الأغريقي نحو غرب صقلية، كذلك عثر فى مالطة على قبور فينيقية تعود إلى القرنين التاسع والثامن ق.م[٥٦]. وقد أشار ديودوروس إلى أن سكان مالطة كانوا من أصل فينيقى[٥٧]. وقد أرجع اليونانيين هذا الانتشار إلى أسطورة اختطاف زيوس لأوروبا ورحلات قادوموس.

أسطورة أوروبا وقادوموس:

بعد أن قام الإله زيوس، كبير أرباب اليونان، باختطاف الجميلة أوروبا ابنة أجينور ملك صور، بعد أن حول نفسه إلى ثور، ومضى بها عبر البحر، حتى أقصى الغرب، أمر أجنيور ابنه قادوموس أن يذهب للبحث عن شقيقته، محرما عليه العودة حتى يجدها فأنطلق قادوموس وبرفقته كل من أمه تيليفاسيا، وشقيقيه تاسوس وكليكيس، ولم يبق مع الأب سوى فوينيقس (فينيق) الذي يمثل فكرة بلاد فينيقيا (كنعان) إلا أن بحث تيلفاسيا وأبنائها عن أوروبا كان دون جدوى فماتت تيلفاسا من الحزن، أما أولادها الثلاثة فلم يجرءوا على العودة إلى صور، من دون أختهم، بسبب المواثيق التي أخذها عليهم والدهم والقسم الذي أدوه فأتجه تاسوس إلى جزيرة تراقيا وأسس تيليكس فى الشمال الصورى، مستعمرات كيلكيا، أما قادوموس فقد مكث فى الأرض

اليونانية ليصبح مؤسسا لمعابد ومدن ومروجا للأبجدية التي أبتكرها الفينيقيون وأتخذها اليونان[٥٨].

مما سبق نستطيع أن نصل إلى التصور التالي:

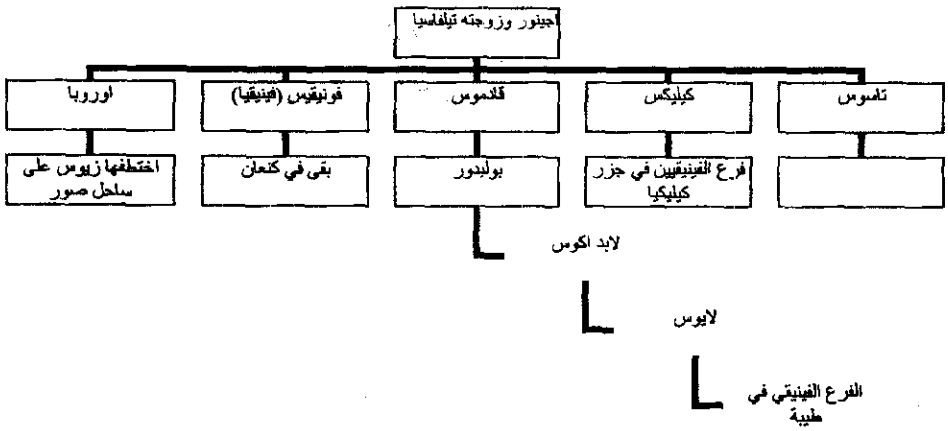

وهكذا فإن قصة قادموس الأسطورية انطلقت من فكرة اختطاف أوروبا، وهنا تأتي الفكرة الأساسية فى هذا الصدد وهى: فكرة إخصاب الحضارة الإغريقية بالإسهام الفينيقي الذي يمثله قادموس (شكل ٦).

ويؤكد هيرودوت[٥٩] ذلك: رأيت بنفسي فى طيبة، ومنطقة بيؤتيا، حروفا قادموسية فى معبد أبوللو منقوشة على ثلاث مراحل، وعلى أحداها هذا النقش "أهداني أمفيتريون" Amphitryom.

أما اتخاذ زيوس صورة الثور، فقد انتشرت عبادة الثور فى أنحاء البحر المتوسط وكانت له مكانة هامة، وأيضا انتشر الثالوث الفينيقي. مما يشير لامتداد الفينيقيين إلى غرب البحر المتوسط سلسلة الجبال التي عرفت باسم جبال هيراكليس (عند مضيق جبل طارق) وهو الرمز الإغريقي للإله ملقارت الفينيقي، مما يشير إلى اكتشاف الطرق البحرية حتى هذه المنطقة تم

على يد الفينيقيين، ولقد ظهر تأثير الفينيقيون على الإغريق منذ عصورهم البكرة، ففي كريت حيث ظهرت أقدم حضارة يونانية، وهي الحضارة المينوية منذ حوالي نهاية الألف الثالثة ق٠م، ظهر التأثير الفينيقي فى عبادة الثور، وفى وجود عدد كبير من الصيدونيين بها أشار إليهم هوميروس في ملحمتيه[٦٠]. ويؤكد فيكتور بيرار فى دراسته لوقائع الأوديسية، أن معظم الأسماء التي ليس لها أصل يوناني أو لاتيني هى من أصل سامي أسبغه الفينيقيون على مدن البحر المتوسط وجزره وجباله، ويرى أن جميع أسماء المنسوجات والخمور والأسماك والأسلحة الواردة فى الأوديسية هى من أصل فينيقي[٦١]. ومن المعروف أن الاسم لكي يتغلب على مكان أو مدينة أو شيء ما، يجب أن تكون خلفه قوة حضارية تسانده وتضمن بقائه[٦٢]، ومن هنا فليس هناك أدنى شك فى صحة نظرية الانتشار الفينيقي فى البحر المتوسط إلى أبعد حد وهو ما أشارت إليه المصادر اليونانية نفسها.

وأول هذه الإشارات تتأرجح بين الواقع والأسطورة، وهي قصة اختطاف "أوروبا" ابنة ملك صور، وكيف أنتشر أشقاؤها فى جزر البحر المتوسط وشواطئه يبحثون عنها كما سبقت الإشارة، ويبدو أن الفينيقيين كانوا موهوبين فى نسج أمثال هذه الأساطير ونشرها بين الشعوب الأخرى لإخفاء غايتهم الأساسية خلفها، فهم كانوا قد اهتدوا إلى قيمة المعادن والذهب بصفة خاصة، كما اهتدوا إلى فائدة انتشار المستعمرات لهم فى البلاد البعيدة وقصة ابنة الملك المخطوفة هذه لم تكن إلا حجة منهم لدخول البلاد واستعمارها واستثمار مواردها المعدنية، والذين كانوا يبحثون عن ابنة الملك أسسوا ممالك ونشروا الحضارة الفينيقية أينما حلوا، إذ أنهم على الأرجح كانوا زعماء وقبائل مع جماعات مهاجرة وليسوا أخوة لأوروبا فقط كما تذكرهم

الأسطورة قادوموس وكيليكس وفينيقس. ويذكر بوزانياس "أن قادوموس جاء على رأس جيش للاحتلال والإقامة بين السكان والتزاوج معهم"[٦٣].

وقد ذكر هيرودوت عند زيارته لجزيرة ثازوس أنه شاهد معبدا لهرقل فى تلك الجزيرة يعود إلى زمن هجرة قادوموس إلى بؤوتيا وأن هذه الجزيرة كانت تجنى من مناجم الذهب فيها ومن ممتلكاتها خارج الجزيرة ما يعادل خمسة ألاف وثمانية كيلو من الذهب سنويا وشاهد بنفسه المناجم الفينيقية وعند بحثه عن أسم الجزيرة ذكروا له أنها تحمل أسم ثازوس بن فينيقس، الذي جاء مع جماعة من الفينيقيين لاستعمارها واستثمار مناجمها[٦٤].

وهكذا تكون قصة أوروبا حجة ذكية ابتكرها الفينيقيون لتغطية أهدافهم الرئيسية من الهجرة والاستيطان بين الشعوب الغربية. وبينما يذكرها هيرودوت بكونها ابنة أجينور ملك صور[٦٥]، يذكرها هوميروس بصفتها ابنة فينيقس وقد أحبها زيوس وهى التي ولدت له رادمانتس ومينوس ملك كريت[٦٦]. وذكر أبولونيس الروديسى سلطتها على جزيرة كريت[٦٧].

وتدل الكشوف الأثرية أن المستوطنات الكنعانية كانت منتشرة فى الألف الثاني ق٠م على شواطئ أسيا الصغرى وجزر بحر ايجة، بما فيها كريت التي كانت تعتبر مركزا حضاريا متقدما فى منصف الألف الثاني ق٠ م، كما كانت هذه المستوطنات هى مراكز الثقافة التي نهل منها الإغريق.

ومن يقرأ نصوص أوغاريت من أواسط الألف الثاني ق٠م، يجد تكرارا فى ملحمة بعل يؤكد أن كفتو (كريت) هى عرش كبير الآلهة الكنعانية "بعل"، ومثل هذا القول لا يمكن أن يكون من الخيال، وقد عثر فى كريت على تماثيل من البرونز لآلهة كنعانية مثل رشف وعشترتا تعود إلى النصف الأول من الألف الثاني ق٠م، كما أن دراسة لأحدى لوحات الكتابة الكريتية تبين أن

أحدى عشرة لفظة تحتويها اللوحة هى من أصل سامي[٦٨]، ولكن هذا لا يعنى أن جزيرة كريت كانت تستخدم هذه اللغة فقط، فعلى ما يبدو أنها منذ القدم كانت تحتوي على خليط من الشعوب لا تختلف عما وصفها به هوميروس فى الأوديسية بأن "اللغات تتلاقى فيها"[٦٩]. ومع اللغات لابد أن تتلاقى الأفكار والعقائد الدينية، ولكن الشعوب التي عددها هوميروس فى القرن التاسع ق٠م كانت معظمها إغريقية، فأي شعوب تراها كانت هناك قبل انتشار الإغريق هناك فى الألف الثاني ق٠م؟.

أن أسطورة أوروبا أخت قادوموس تكشف العلاقة بين أرض لبنان وجزيرة كريت، فالإله زيوس الكريتي الذي خطف أوروبا لم يكن ألها خرافيا إغريقيا، بل كان بطلا مؤهلا، يعتقد الكريتيون أنه ولد فى كريت وتربى فى كهف خوفا من والده، وقد مات وله قبر هناك يقيمون الاحتفالات سنويا عنده[٧٠]. وهذه القصة تقترب كثيرا من قصة أدونيس الفينيقي الذي تربى فى كهف نيسا[٧١]. وأوروبا الفينيقية يبدو أنها كانت تعبد فى كريت بين الإلهات العديدات المعبودات هناك، فلقد عثر في فايستوس على قطع من العملة تحمل صورة أوروبا فوق الثور وتحيط بها شجرة صفصاف تعود للقرن الخامس ق٠م ، كذلك كان فى كريت ميناء يدعى "فينيقس" ولاشك أنه مستوطنة فينيقية قديمة ، سبقت السيطرة الإغريقية على المدينة وإلا ما أستطاع الفينيقيون أن يمتلكوا هذا الميناء فى زمن الازدهار الإغريقي في كريت[٧٢].

أيضا يذكر ديودوروس الصقلي أن "قادوموس عندما رسا فى رودوس أثناء بحثه عن أوروبا شيد معبدا فيها وترك فيه نفرا من الفينيقيين ليقوموا على خدمته، ولقد اختلطوا بالسكان الأصليين وشاركوهم فى الحياة العامة، كما قدم قادوموس القرابين للربة أثينا، ومن بينها حوض بديع عليه نقش

بحروف فينيقية[٧٣]. وهكذا فأن قادوموس عندما ذهب إلى رودوس كان معه الأبجدية الفينيقية وتصميم المعابد، ولقد عثر على أثار فينيقية في رودوس لاسيما في ياليسيوس Yalissios حيث أكتشف دعائم معبد بوسيدون الذي بناه قادوموس[٧٤].

ولقد أستوطن الفينيقيون في مراكز عديدة في قبرص وفي جزر بحر إيجة، فقد أوضح هيرودوت أوجه الشبه بين أفروديتي القبرصية وعشتروت الفينيقية، ولقد كان لفينيقيا تأثير كبير في الفن القبرصي، إذ نجد مزهريات وجرار أكثر ضخامة لها أعناق واسعة بأسلوب فينيقي[٧٥]. وفي ميلتوس ببحر ايجة كان الفينيقيون يبادلون الكبريت وحجر الشبه بالمزهريات الجميلة، أما جزيرة كيثيرا فاشتهرت بمعبد عشتروت (أفروديتي) وتركزت فيها صناعة الأرجوان بهدف سد حاجة الأسواق اليونانية ، إذ لم تعد صور وحدها تستطيع ذلك[٧٦].

ومن أعظم انجازات الفينيقيين في البحر المتوسط تأسيسهم مدينة قرطاجة على ساحل البحر المتوسط في شمال أفريقيا (تونس الحالية) وذلك حوالي ٨١٠ ق٠م، وهي التي أنشأتها بعثة من صور بقيادة امرأة هي أليسا (ديدو)، كما أشار إلى ذلك الشاعر فرجليوس في ملحمة الإلياذة، وأسم المدينة طبقا للنطق الفينيقي هو قريت حدثت أي القرية الجديدة ، وقد بلغت درجة من القوة بحيث استطاعت أن تؤسس لها مستعمرات ومراكز تجارية في معظم جزر البحر المتوسط، وخاصة في صقلية، ولقد عثر على العديد من الآثار الفينيقية في مقابر صقلية، ولقد أنطلق الفينيقيون من خلال مضيق مسينا عبر البحر التيراني غربا إلى مناجم القصدير[٧٧].

وقام الفينيقيون بتأسيس قاعدة لهم فى أسبانيا باسم قادس، ووصلوا إلى انجلترا، إذ يذكر أسترابون: "كان فينيقيو قادس يتبادلون التجارة مع ال Cassiterides"[٧٨]، وهى مجموعة الجزر الجنوبية الغربية من انجلترا، وقد جاء انتشار الفينيقيين غربا فى أعقاب وصول شعوب البحر وقبل وصول اليونان، ويؤكد ذلك ما ورد فى التوراة من أن أسطول صور التجاري، فى عهد سليمان عليه السلام، كان يقوم برحلات طويلة وشاقة[٧٩].

ولقد أستمر نشاط الفينيقيين التجاري فى البحر المتوسط حتى القرن الثامن ق٠م، حينما ظهر اليونانيين وشكلوا خطرا متزايدا على المستعمرات الفينيقية، واتجهوا إلى أضعف الأماكن مقاومة : مثل جنوب ايطاليا وكورسيكا والغال، وانتصر عليهم القائد القرطاجى مالخوس فى صقلية حوالي ٥٥٠ ق٠م، ودعم المستعمرات الفينيقية فى طرفها الغربي ثم توجه إلى سردينيا حيث نجح فى عام ٥٣٥ ق٠م فى طرد اليونان منها[٨٠] (٨٠)٠ولقد كان أول من أكتشف الانتشار الفينيقي على حقيقته هو المؤرخ الجغرافي استرابون، فقد أستنتج أن هوميروس لم يسافر ويتجول فى الأماكن التي وصفها فى الإلياذة والأوديسية وإنما كان يروى نقلا عن الفينيقيين[٨١].

٨- الأدب والدين:

يبدو أن العلاقات بين الإغريق والفينيقيين كانت أقدم فى الزمن من قادموس، الذي تحددت رحلته بعد ابتكار الحروف الفينيقية، فقد كانت أبعد من ذلك منذ كان للكنعانيين الساميين وجود فى شرق المتوسط، فقد ذكرت روايات الأساطير الإغريقية علاقات صحيحة تجسدت فى بعض النماذج فى الأدب الإغريقي.

ذكر هيرودوت (القرن الخامس ق٠م) عن رواية مصرية، أن الفينيقيين كانوا قد اختطفوا امرأتين من نساء معبد زيوس الطيبي فى مصر، فباعوا واحدة منهما فى ليبيا والثانية فى بلاد الإغريق، وهاتان السيدتان هما اللتان أسستا الوحي فى البلدين، أما زيوس الإغريقي فهو أمون المصري ذاته بطقوس وحيه[٨٢]. وسواء وافق دارسو الحضارة الإغريقية هيرودوت فى حكمه بأن الآلهة لم تكن معروفة وذات وظائف قبل هوميروس وهسيودس، أو خالفوه فى هذا الحكم من الناحية التاريخية، فأن معظم أسماء الألهة الواردة لدى الشاعرين تشهد بغربتها عن اللغة الإغريقية، وهذا ما جعل هيرودوت يحكم بحداثتها على الأرجح، أذ يرى فى مقدمة قوله هذا أن البلاسجيين تعلموا أسماء الإلهة الغربية، وبعد وقت طويل ذهبوا ليستشيروا وحى دودونا (وقد كان هو الوحي الوحيد فى بلاد اليونان فى ذلك الوقت)، حول استعمال الأسماء التي دخلت إلى البلاد من الخارج، وقد أجابهم الوحي بالموافقة فبدءوا يستخدمونها فى طقوسهم الدينية، ثم تسربت بعد ذلك إلى جميع البلاد الإغريقية[٨٣].

وهنا لابد من البحث عن المصادر التي أقتبس منها الإغريق أسماء آلهتهم ووظائفها وقصصها، وحين يرجح المؤرخون أسبقية هوميروس على هسيودس فى الزمن، نتساءل عن مصادر هوميروس ليس لقصص الآلهة فقط، بل للحوادث ذاتها التي أوردها فى ملحمتيه الألياذة والأوديسية، فهما تشتملان على أخبار ووقائع وأسماء قبائل وأماكن جغرافية أثبت التاريخ وجودها، وبينما يتفق الباحثون على حدوث وقائع الإلياذة خلال القرن الثاني عشرق٠م، يتفقون من جهة أخرى على أن الصيغة الأخيرة للملحمتين وضعت حوالى القرن الثامن ق٠م، وهذا يعنى أنهما كانتا أخبارا متفرقة

وقصائد صغيرة مبعثرة قبل جمعهما، والوقائع فى الإلياذة بشكل خاص تحدد الشاطئ الأسيوي الشمالي والجزر الأيونية القريبة منه مسرحا لها ، ونادرا ما تشير إلى المدن الإغريقية الداخلية، بينما تتحدث عن المتحاربين وقبائلهم وبلادهم حديث الخبير العارف بهم جميعا، والرواية الإغريقية للإلياذة لا تبخل بإسباغ المديح والإعجاب على الطرواديين وهذا يعنى أن قصص الحرب تلك كانت تتناقلها جماعات متجولة محايدة فى هذه الحرب، أو أنها تعطف عطفا خاصا على الطرواديين[٨٤].

ويرجح البعض أن القصائد الهومرية كانت مكتوبة باللغة الأيولية، لغة شرق بحر إيجة، ونقلها الى الإغريقية شعراء بوؤتيا، ومن المعروف أن بوؤتيا كانت خاضعة لنفوذ الفينيقيين الثقافي، وفق الروايات عن قادموس الذي أقام مع جماعته فيها، واستقراءات الأساطير والتاريخ المكتوب ترينا تأثيرا واسعا للفينيقيين فى بلاد الأيوليين الذين نزحوا إلى شواطئ آسيا من بوؤتيا نفسها فى أواخر الألف الثاني ق٠م، ويرجح أن هوميروس ينتسب للأيوليين هؤلاء، وهو الذي وضع الصياغة الرئيسية للملحمتين لدى تسجيلهما باللغة الأيولية[٨٥].

وهناك قصة هيلينا التي تدور حولها الإلياذة، فهذه القصة لا تخرج عن كونها حبكة فنية لملحمة "كرت" الكنعاني وغزوته لمدينة أدوم كي يأتي منها بامرأة له، وفى الإلياذة كما فى الأوديسية، نقرأ وصفا لمصنوعات صيدا دون غيرها من المدن الفينيقية المنافسة لها، مع أن هذه المدن لم تكن غائبة عن مسرح التاريخ الصناعي طوال الزمن الذي أستغرقه تسجيل الملاحم الهومرية، عندما يذكر منيلاوس أنه أقام عند فايديموس ملك صيدا وأهداه كأسا فضية[٨٦]، أو نقرأ عن نشاط الفينيقيين التجاري فى أثناء حرب

طروادة[٨٧]، لا نستطيع إلا افتراض وجود صيدوني، يخشى منافسة صور وجبيل وراء عملية تسجيل الملاحم الهومرية.

ولا يحتاج المرء إلى جهد كبير لاكتشاف التراث الفينيقي الجغرافي فى الأوديسية، فالفينيقيون وحدهم كانوا يملكون هذه المعرفة الواسعة للبحر المتوسط وجزره وزواياه فى عصر هوميروس، ومثل هذه المعلومات التي ثبت واقعيتها لا يمكن أن تكون مكتوبة إلا كأوصاف للبلاد التي كان يتجول فيها البحارة الفينيقيون منذ ما قبل هوميروس بأكثر من خمسة قرون على الأقل، وكان أبرز من انتبه لهذه الحقيقة بين الباحثين القدامى هو الجغرافي استرابون، كما سبقت الإشارة، إذ انه قام بدراسة مواقع أخبار الأوديسية ورأى أن بعضها حدث فى غرب البحر المتوسط، بل وخارج أعمدة هرقل، وقرر عندئذ أن الفينيقيين هم الذين أوحوا لهوميروس بوقائع الأوديسية وأماكنها[٨٨].

وقد تأثر اليونانيون بديانة الفينيقيين تأثرا واضحا، وليس أدل على تأثرهم من أن كثيرا من الآلهة اليونانية أصلها فينيقي. ولقد ظهر التأثير الديني على أشده فى عبادة أفروديتى "ربة الحب والجمال" عندهم، فأن قبرص الأقرب إلى المراكز التجارية الفينيقية، انتقلت عن طريقها عبادة عشتورى التي ذكرتها التوراة باسم "أشيرا" أو "أفتورى" عشتروت وترجمها اليونان إلى أفروديتي، وتذكر الأسطورة أن أريس (الله الحرب عند اليونانيين) تحول إلى دب فقتل أدونيس، عشيق أفروديتي وهو يصطاد فى جبل لبنان، أمام عيني أفروديتي. وساعد على رواج هذه الأسطورة وقبولها مشهد النهر الصغير الذي يخرج من مغارة الرويس فيلتقي مع نهر أفقا، ويندمج فيه، فيصب فيه التراب الأحمر الذي يحمله معه، ويكون أشبه بطعنة

تصبغه بالدم الأحمر وكانت تقام احتفالات على شرف أدونيس في مدينة جبيل التي كان أهلها يعتقدون حدوث قصته مع الرب في أرضهم وكانوا في كل سنة يعلنون الحداد على موته في كل البلاد ويندبونه ويقدمون له الأضاحي، كما تقدم للميت، ثم يعلنون قيامته في اليوم الثاني ويعتقدون بسكناه السماء[٨٩].

ولقد انتشرت عبادة أفروديتي في أغلب أنحاء اليونان، وكان أشهر معابدها في قبرص وفي جزيرة كيثيرا Kythera وعلى جبل إريكس Eryx يؤم هذه المعابد الآلاف وقد عرفت بانتشار البغاء المقدس حيث فتياتها الراهبات يستقبلن لهذه الغاية البحارة والمسافرين الذين يتبرعون بمبالغ ضخمة للمعابد[٩٠]. وقد أصبح لعبادة أفروديتي شهرة واسعة في المدن الواقعة على سواحل البحر المتوسط وبالأخص في كورنثة.

وحين نقرأ لهيرودوت أن هوميروس وهسيودس كانا أول من أدخل موضوع الآلهة إلى بلاد اليونان، نجد من غير المعقول أن تكون جميع الأساطير والوظائف الإلهية الواردة لدى الشاعرين هي من ابتكارهما وحدهما أو من ابتكار الفريق الذي كتب كتبهما وعن بلاد أخرى بعيدة، وهنا علينا أن نفترض ندرة الكتابة بين الإغريق الذين لم يهتموا كثيرا بهذا الفن وفي هذه الحالة يكون الشاعران أو الفريقان، أول من سجل المرويات الشعبية المنتشرة في بلادهما عن الآلهة وأول من ضخم القصص ونسبها لكائنات خرافية افترض أنها تدير الكون وتحمل معنى كلمة " فيشو" أي المدبرة[٩١].

والآن نشير إلى بعض الأسماء الأسطورية البارزة في التراث الإغريقي للمقارنة مع ما ورد في التراث الكنعاني وبصفة خاصة ما ورد في نصوص أوغاريت التي لا يرقى شك إلى سبقها لكل ما لدى الإغريق.

إن والد الآلهة العظام فى التراث الإغريقي هو خرونوس، وهو يعنى الزمن ومجرى السنين، وفى نصوص أوغاريت نجد الإله الأعظم "أيل" والد الآلهة يلقب "أ ب ش ن م" ويفضل المترجمون ترجمتها بأبي السنين، ولقد عرف فيلون الجبيلي "أيل" بخرونوس فى نص نظرية التكوين الفينيقية[٩٢].

ولدى هوميروس نجد أن خرونوس والد زيوس وهاديس وبوسيدون وهيرا وديميتر[٩٣]، ونجد السلالة نفسها كذلك لدى هسيودس فى منظومة سلالة الآلهة، وبالمقابل نجد فى نصوص أوغاريت أن أيل له من زوجته أشيرة: البعل وموت ويم وعناء وعشتروت مع ماله من أبناء آخرين[٩٤].

وأذا تركنا الإله العظيم خرونوس، نجد أوصاف البعل الكنعاني كاملة فى شخصية الأله زيوس، ومثل هذا الاعتماد على أله محارب نشيط كان من مستلزمات حركة الشعوب الفتية المتنقلة، كالشعب الإغريقي آنذاك، بينما أيل كان نتيجة استقرار لحضارة قديمة لها قوانين وأنظمة ومواقف عادلة. كذلك نجد زيوس لدى هوميروس هو مجمع السحب ومرسل الصواعق ويرعد فى الأعالي وهو أقوى الآلهة وهذه الأوصاف هى ذاتها ترافق أسم البعل فى نصوص أوغاريت، وكما يوصف البعل بالعلي نجد أن كلمة زيوس الإغريقية تعنى السماء أيضا أي العلو، وتغيب شخصية أيل عن التراث الإغريقي لعدم الحاجة إليها، ونجد الإله بوسيدون يماثل وظائفه الإله "يم" الأوغاريتى، وكما نجد هذا الإله على خلاف مع زيوس بشأن الآخيين والطرواديين فى الإلياذة، كذلك نجد البعل على خلاف مع يم أيضا، وحين نقرأ إنذارا يرسله زيوس لبوسيدون يدعوه لأن يترك الحرب، كما أنه يرسل الإنذار مع رسولين[٩٥]، كذلك نقرأ إنذارا من يم إلى البعل مع رسل يحملونه غالى مجلس الآلهة، وهنا نستبعد أن تكون الصدفة أدت إلى مثل هذه الواقعة بين ألهين متشابهي

الوظائف فى أوغاريت والإلياذة، وأن اختلفت وجهة الرسالة بينهما. ونقرأ فى الإلياذة أن بوسيدون يقيم فى أعماق البحر فى أيجيا[٩٦]، وإيجيا بلدة فينيقية فى كيليكيا كما ذكرها هيكاتيوس[٩٧]، ويرجح أن أسم بوسيدون دخيل على اللغة اليونانية، وهو فى نظرية التكوين الفينيقية اخ لصيدون وابن لبونش، ولا يزال يوجد على الساحل اللبناني ميناء يحمل اسمه محرفا إلى "بوزيد" قرب صيدا، ولقد ذكر الشاعر ننوس الذي سجل بعض الأساطير الفينيقية فى القرن الخامس بعد الميلاد أن بوسيدون كان ينافس أدونيس على بيروت، ويبدو انه فاز بها مزلزل الأرض وسيد البحر (بوزيدون)، عندما قبل بشروط حمايتها من زلازله، وقد كان أهل بيروت فى العهد الهلينيستى يطلقون على أنفسهم لقب "بوزيدونيين" كما تحفظ لهم ذلك كتابات ديلوس[٩٨]، أيضا يذكر ديودوروس أن قادوموس كان ينوى أقامة معبد لبوزيدون فى جزيرة "ليندوس" ويضع فيه كهنة فينيقيين بمناسبة نجاته من عاصفة بحرية[٩٩]، ونجد فى نظرية التكوين الفينيقية أنه عندما وزع خرونوس الأرض بين بنيه، أعطى بيروت لبوزيدون بينما أعطى جبيل لديونى[١٠٠].

أيضا أرتبط أسم بوزيدون باسم بحر إيجة، فإيجيوس هو أسم نهر مؤله، وفى ملحمة البعل الكنعانية نجد أن الإله يم هو ذاته الإله نهر، ولابد من الإشارة هنا إلى أن جزر "أج" السامي يحمل معنى المياه، والمياه المالحة بصفة خاصة، وقد يكون أسم بحر إيجة جاء من هذا الأصل وعندئذ يكون بوزيدون وشخصية إيجة معا مرتبطين بالكنعانيين القدامى فى لبنان[١٠١]. أما الإله الثالث من أبناء خرونوس فهو اله الموت هاديس، وحصة هذا الإله هى الظلام وهو سيد أرض الموتى، كما يعرفه هوميروس[١٠٢] (١٠٢)، وكما يذكره هسيودس فى منظومته سلالة الآلهة، ويقابل هذا الإله فى النصوص

الكنعانية الإله موت الذي يقيم تحت الأرض ويدعو البعل للنزول إليه في مملكة الأموات ، وقد تكون صدفة غريبة أن تكون كلمة "عادس" السامية تعنى باللغة العربية الذاهب فى الظلام[١٠٣]، وهذا الإله ليس له وظيفة فى التراث الإغريقي، سوى أنه اله الظلام والموتى ، بينما له أثر كبير فى نصوص أوغاريت، وهو أساس الحياة في مطلع نظرية التكوين الفينيقية. ومثل هذا الوضع يدفعنا إلى الترجيح بأنه غريب عن مجمع الألهه ثيو ذوى الوظائف لدى الإغريق، فوظيفة موت الكنعاني مرتبطة بالصراع والموت والبعث، ومثل هذه الفكرة دخلت متأخرة إلى تراث الأغريق.

ثم هناك هيرا وديميتر من بنات خرونوس، وأتفق الباحثون على أن هيرا موجودة فى بلاد الإغريق قبل الهلينيين ويبدو أن أسم هذه الآلهة سامي صريح (حورا) بل هو نعت كمعظم أسماء الآلهة السامية الكنعانية، فكلمة حوراء التي تحفظها اللغة العربية تتفق تماما مع أوصاف هذه الآلهة. وقد وردت لدى باوزنياس صفة لأفروديت، حيث ذكر تمثالها بأسم "حورا أفروديت" فى أسبرطة[١٠٤]. أي الحورية كما نقول الحسناء، وكلمة حورا فى العربية تعنى البياض، وقد وصف هوميروس حورا فى الإلياذة بذات الذراعين البيضاويين[١٠٥]، كما وصفها بأن لها عيني بقرة[١٠٦]، ومثل هذا الوصف كان خاصا بهيرا وحدها فى الأساطير الأغريقية. كما أن علاقة هيرا بجزيرة ساموس وعطفها منذ مطلع الإلياذة على الدانائيين[١٠٧]، يرجح أصلها الكنعاني، وقد وصف سترابون معبدها فى ساموس فذكر أنه قديم وعظيم ومفتوح من أعلى إلى الفضاء[١٠٨]، وهذا الانفتاح على الفضاء هو من خواص معابد الكنعانيين، ويذكر أيضا استرابون عبادة حورا فى غاديرا الفينيقية، حيث كانت لها جزيرة خاصة قرب أعمدة هرقل، ويقوم فوقها

معبد لها. وقد ذكر استرابون وجود كتابات فوق معبد حورا فى ساموس، كما ذكر مثل هذه الكتابات على معبد هرقل فى غاديرا على الأطلسي[١٠٩].

إن مثل هذه المعالم الكنعانية فى التراث الإغريقي قد توافق معظم الأساطير التي وصلتنا، وهى تحتاج لدراسة خاصة واسعة لاستنتاج العلاقات الإنسانية والثقافية التي كانت بين الكنعانيين وسكان بحر ايجة وجزره، قبل هجرة قادوموس وحروب طروادة، ومثل هذه الدراسة التي سبقت الإشارة إلى أمثلة منها تكشف مدى أسهام مفكري فينيقيا فى التراث الإغريقي الديني.

٩- الحروف الأبجدية:

تعتبر الحروف الأبجدية أعظم أنجاز قدمه الفينيقيون لليونانيين خاصة وللإنسانية عامة، وقد ذكر هيرودوت عن أصول الألف بائية اليونانية: "كان الفينيقيون الذين رافقوا قادوموس إلى بلاد اليونان - ومن بينهم أسرة الجيفيرايين Gephyraei - قد أقاموا فيها وأدخلوا معهم الكثير من المعارف أعظمها أهمية كانت الكتابة، وهى الفن الزى لا يزال إلى الآن، حسبما أظن، غير معروف لدى اليونان، فى أول الأمر استخدموا نفس السمات التي أستخدمها جميع الفينيقيين الآخرين، ولكن بمرور الزمن تطورت هذه الأحرف بما يناسب اللغة واتخذت أشكالا أخرى، فى تلك الفترة كان معظم اليونانيين يستقرون فى المناطق المجاورة Ionians فتعلموا تلك الحروف من الفينيقيين، واتخذوها مع بعض التعديلات البسيطة، لتلاءم استخداماتهم، وظلوا يشيرون إليها بالسمات الفينيقية وهم يعترفون عن طيب خاطر، وكما يقتضى الأنصاف بأن هذه الأحرف قد سميت بالأحرف الفينيقية لأن الفينيقيين هم الذين أدخلوها إلى بلاد اليونان"[١١٠].

وجدير بالذكر أن اليونان استخدموها كما هى بلفظ Alphabetos وهو اللفظ الذي أنتقل إلى مختلف لغات العالم بشكل Alphabet حتى اليوم.

ولقد سبقت الإشارة إلى أن هيرودوت قد ذكر أنه رأى بنفسه فى معبد أبوللو بطيبة مراجل عليها نقوش محفورة بحروف قادموسية، معظمها لا يختلف كثيرا عن الكتابة الأيونية. ومن المعروف أن المصريين أتبعوا طريقة التصوير الهيروغليفي، فنقلوا الأفكار بطريق التصوير ذات الأشكال والأوضاع، فيما يشبه التصوير الفوتوغرافي، وأتبع السومريون الطريقة نفسها، ولكن بأبعاد هندسية أكثر قابلية للتعميم ،عندما استخدموا أشكالا من الأسافين (المسامير) يركبون بها الشيء بانضباط أكثر، والطريقتان معا لم تبلغا مرحلة الهجاء، بل بقيتا تعتمدان على النظر والخبرة المختزنة لفهم الصور، ثم تطورت الصور فى مصر وبلاد الرافدين إلى رموز لكميات وأعداد أو أحجام وأشياء[١١١]. وجاء دور الفينيقيين لابتكار الحروف. ومن العجيب انه عثر على أكثر من أبجدية واحدة للفينيقيين فى مدنهم وفى أسيا الصغرى وشمال أفريقيا وسيناء ولكن للأسف ليس لدينا مادة كثيرة عن اللغة الفينيقية لأسباب كثيرة منها:

أولا: ضياع التراث اللغوي الفينيقي على يد الغزاة الأجانب الذين اجتاحوا منطقة الساحل الفينيقي، مثل شعوب البحر ثم الإسكندر المقدوني ثم الرومان الذين دمروا قرطاجة واستولوا على المدن الفينيقية.

ثانيا: أن الفينيقيين لم يسجلوا لنا آدابهم وأفكارهم على مواد مقاومة للفناء.

ثالثا: أن زمن ازدهارهم كان قصيرا[١١٢].

ومن ثم ليس أمام الباحثين سوى:

أ- أسماء الأعلام ومنها الأوصاف.

ب- النقوش الإهدائية والجنائزية فيها وصف القربان وثم طلب البركة

ج- الأدب الفينيقي.

أ- أسماء الأعلام:

تكون اللغة الفينيقية فرعا خاصا من اللغة الكنعانية لتتشابه مع اللغات السامية الأخرى فى مرونة الألفاظ والتصريف الذي يبدأ على مصادرها: وغالبا ما يتكون الاسم من ثلاثة أحرف، وتتفق مع اللغات السامية الأخرى فى عدم كتابة الحركات حتى تزيل شكوك التردد والخطأ فى النطق بكلماتها، وبناء على هذا جاءت أسماء الأعلام الفينيقية كما أشار إليها المتخصصون فى هذا الميدان عبارة عن أوصاف تشير إلى خاصية من الخصائص مثل الابتهال أو أظهار الأيمان أو الثناء على الرب وهناك أسماء أخرى مثل عبد (خادم) وأمه (خادمة) وبعل (سيد)[١١٣].

ب- النقوش الإهدائية والجنائزية:

تشمل النقوش الإهدائية كل الأشياء المهداة الى الرب تقربا اليه لنيل رضاه والاستعانة به فى قضاء مأرب والوقاية من الكوارث وغالبا ما تحتوى صيغة الأهداء هذه على وصف القربان، ثم طلب البركة، ومثال نصوص الإهداء هذه: نقش عثر عليه فى مالطة يحتوى على الأتي: "الى مولانا ملقارت بعل صور، هذا ما يهديه إليك عبدك أبدوشير وأخوه أوسيرشر ابنا أوسيرشحر بن أبدوشير لأنه استجاب لدعائهم، فليباركهم"[١١٤]. وكذلك وجدت نصوص أخرى فى قرطاجة مهداة إلى الآلهة تانيت بينه بعل Tanit- Pne- Baal والى الإله بعل هون.

أما النصوص الجنائزية، فأنها غالبا ما تكون مطولة أكثر من الإهدائية وتتناول عادة أسم الميت ومكانته ثم تتطرق إلى مناقبه، وفى نهايتها تختتم هذه النصوص باستنزال اللعنات على كل من يحاول النيل من البناء الجنائزي، ومثال هذه النصوص ، النص الذي وجد على غطاء تابوت الملك أحيرام Ahiram ملك جبيل، الذي يعود تاريخ ... حوالي القرن العاشر ق.م (شكل رقم ٧)[١١٥]. وهو عبارة عن تابوت حجري عثر عليه فى المقبرة الملكية فى جبيل "بيبلوس" وهو الأن فى متحف بيروت ، مرسوم عليه أربعة أسود منحوتة بإمعان، لعلها كانت تحمل التابوت، ويمثل المشهد الرئيسي الملك أحيرام على عرشه، له لحية وغطاء رأس ، ويحمل فى يده زهرة لوتس منكسه (إشارة للموت) وأمامه طاولة عليها فاكهة، وحوله أفراد حاشيته، وعلى الجانب الصغير من التابوت نائحات يشددن شعورهن ويلطمن صدورهن، وفى أعلى التابوت أطار محيط يوحى بسلسلة جبلية وسلسلة من الأمواج، وجدير بالذكر كذلك أن توابيت العائلة فى تلك المقبرة الملكية وجدت فارغة بعد أن سرق اللصوص ما فيها[١١٦].

أما الكتابة المذكورة فهي على غطاء التابوت، وتشير إلى أن "هذا التابوت صنعه ايتوبعل بن أحيرام، ملك بيبلوس، لأبيه مسكنا أبديا، وإذا هاجم بيبلوس ملك أو حاكم أو قائد وتعرض لحرمة هذا التابوت، فليكسر صولجان حكمه، وليسقط عرشه الملكي وليهجر السلام بيبلوس، وأما هو فليمح كانسان شارد وكتابته"[١١٧].

ج- الأدب الفينيقي:

أن كل ما نملكه من الأدب الفينيقي لا يكاد يتجاوز بعض الأساطير القليلة المتعلقة بفكرة الخلق عند الفينيقيين والمناظرات الأدبية التي تتمثل فى

النزاع السنوي بين اله النبات عليان بعل وخصمه موت[118]، ومن أشهر المؤرخين الذين وصلتنا أخبارهم الكاهن سانخونياتون Sanchoniaton الذي عاش حوالي القرن الحادي عشر ق.م، وقد أقتبس عنه فيلون الجبيلى حوالي القرن الأول الميلادي، وفى حوالي القرن الرابع الميلادي أخذ المؤرخ اليوناني يوسيبيوس والملقب بأبي التاريخ الكنسي أراء سانخونياتون عن فيلون لينقدها[119].

إلى جانب الأساطير وأخبار سانخونياتون هناك أيضا تقارير رحلة حنون وخملكن الاستكشافيتين والوصف الشامل للأماكن التي بلغتها رحلتا القائدين القرطاجيين، وقد ترجم التقرير من الفينيقية إلى اليونانية ثم إلى لغات أخرى[120].

كذلك نذكر فى ميدان التاريخ والأدب الفينيقي أيضا النقش الذي سجل عليه هانى بعل حملاته فى ايطاليا ثم أودعه فى معبد جونو، وهو باللغتين اليونانية والفينيقية، وأعتمد عليه المؤرخ الروماني المعروف تيتوس ليفيوس Livius فى كتاباته[121].

يضاف إلى كل ذلك كتب الموسوعات الزراعية التى ألفها ماجون Magon والتي أمر مجلس الشيوخ الروماني بترجمتها للاستفادة منها فى ميدان الزراعة وقد تأثر بها كل من كاتو وفرجيليوس[122].

ولكن فى حقيقة الأمر ان مادة اللغة والأدب الفينيقي تتجاوز ما سبق ذكره، إذ انه لا يعقل أن ينحصر تراث ذلك الشعب الذي أستطاع أن يصنع معجزة اختراع أول أبجدية فى العالم فى بعض الأساطير والنقوش الكتابية، غير أن تضافر الأسباب التي سبق الإشارة إليها كانت السبب المباشر فى ضياع هذا التراث.

لقد سبق الإشارة إلى أن هناك كتابات أخرى سبقت الأبجدية الفينيقية، نذكر منها على سبيل المثال، الكتابة التصويرية التي ظهرت فى وادي النيل، والكتابة السومرية فى جنوب الرافدين، وكانت كلتا الكتابتين معاصرتين أو متقاربتين على الأقل فى الظهور[١٢٣]. واعتمدت كل من الكتابتين المصرية والسومرية فى أول الأمر على تصوير الأفكار والأشياء ثم تطورت كل منهما بطريقتها الخاصة، فحلت العلامات الرمزية فى كل منهما محل التصوير بقصد إزالة الغموض والتعقيد الذي كان يسودهما، فمثلا تطورت الكتابة الهيروغليفية إلى الكتابة الهيراطيقية حوالي النصف الثاني من الألف الثالث ق٠م ثم إلى الديموطيقية حوالي ١٨٠ ق٠م[١٢٤].

أما الكتابة المسمارية فإنها تطورت هى الأخرى من كتابة تصويرية الى مقاطع تشترك فى تكوين الكلمات، وقد انتشرت فى معظم أنحاء أسيا الغربية فأستعملها الأكاديون والبابليون والحوريون ثم الحيثون، وكانت اللغة الأكادية ذات الكتابة المثالية هى لغة المراسلات الغربية خلال النصف الأول من الألف الثاني ق٠م وما بعده وتدل على ذلك رسائل تل العمارنة[١٢٥].

ولعل اتصالات الفينيقيين العديدة واشتغالهم بالتجارة والنقل التجاري بين عدد من الدول القديمة، وضرورة إلمامهم بعدد من لغات الشعوب التي كانوا يتصلون بها هو الذي ساعدهم على السعي للوصول إلى طريقة سريعة وسهلة للكتابة تريحهم من عناء استخدام الكتابة التصويرية المقطعية المعقدة حسب الطريقة المصرية أو البابلية، ودفعهم إلى اختراع حروف أبجدية صوتية، فكانت الأبجدية الفينيقية من أوائل الأبجديات التي ظهرت فى منطقة الشرق الأدنى[١٢٦].

ومن هنا فأن الكتابة الفينيقية تعتبر أول كتابة استخدم الإنسان فيها الحروف الهجائية فقط ولعل الفينيقيين توصلوا إليها بعد تجارب عدة ومراحل تطور. ويؤكد هذا مجموعة النقوش التي عثر عليها في موقع أوغاريت القديمة (رأس شمرا الحالية) وهى تشتمل على عدد كبير من الألواح من الطمي المحروق التي ترجع إلى القرن الرابع عشر ق.م[١٢٧]، ولقد لاحظ الأثريون والعلماء الذين قاموا بحفائر أوغاريت (رأس شمرا) إن معظم النقوش المكتشفة بالكتابة المسمارية لا تتضمن لغة سومرية أو بابلية أو آشورية أو أي لغة أخرى من اللغات المعروفة التي كانت تستخدم الكتابة المسمارية، فأدرك العلماء حينئذ أنهم أمام لغة جديدة، ولقد أستطاع العلماء حل رموز هذه اللغة ومما يسر أمر حلها أمران:

ا- هو أن كتاب هذه النقوش اعتادوا الفصل بين كل كلمة وأخرى بشرطة رأسية.

ب- أنه حين جمع العلماء الرموز المسمارية المستخدمة فى هذه الكتابة تبين أنها محدودة العدد، إذ أن عددها ٢٩ رمزا مستخدما بطريقة تختلف تماما عما ألفه العلماء فى الكتابات المسمارية الأخرى[١٢٨].

وعند ذلك أدرك العلماء أنهم أمام كتابة بالحروف الهجائية لأن أوغاريت تقع فى منطقة تنتشر فيها العناصر السامية وخاصة العنصر الكنعاني، فاستنتجوا أن هذه الكتابة تسجل لغة سامية وثيقة الصلة باللغة الكنعانية وتعد لهجة من لهجاتها ،وبذلك تكون هذه النقوش قد أمدتنا بأقدم كتابة كاملة بالحروف الهجائية ولكن نظرا لأن الكتابة المسمارية التي استخدمت فى اللغة الأوغارتية لم تكن لتصلح إلا للنقش على الطمي (الذي غالبا ما كان يحرق بعد الكتابة عليه) أو الحجر، لذلك لم ينتشر استخدامها فى

بيئات أخرى يغلب عليها الطابع التجاري، لأنها كانت تفضل الكتابة على الورق أو الجلد[١٢٩]، وتتميز كتابة أوغاريت ببساطتها بالنسبة للكتابة المسمارية العادية ويعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر ق٠م وكانت تكتب من اليسار إلى اليمين[١٣٠].

ومن جهة أخرى فقد عثر في مدينة جبيل الواقعة إلى الشمال من بيروت على العديد من النقوش التي كتبت بلغة سامية أقرب إلى الفينيقية، ولقد كانت جبيل مستعمرة مصرية يحكمها حكام مصريون أحيانا وفينيقيون أحيانا أخرى، وجبيل تسمى بالفينيقية "بعلت جبال" أي صاحبة الحدود، أي حيث ينتهي النفوذ الكنعاني شمالا، وفي هذه المدينة ظهرت الكتابة الأبجدية قبل ابتداء القرن الثالث ق٠م بصورة سهلة وعملية لأول مرة في التاريخ، ومن أجل ذلك سميت عند اليونان "بيبلوس" أي مدينة الكتابة، وكانت المركز الديني والمعقل الثقافي لفينيقيا في حين أن مدينتي صيدا وصور كانتا مركزين أساسيين للحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية للفينيقيين[١٣١].

وتضم جبيل مجموعة من النقوش تبلغ حوالي عشرة، محفورة على لوحات بعضها من البرونز وبعضها الأخر من الحجر، وبفك رموز هذه الكتابة وجد أنها تتضمن كثيرا من أسماء الآلهة الفرعونية في سياق يوحي بتقديس الفينيقيين لها، وبتحليل كتابة بيبلوس (جبيل) وجد أنها كتابة صوتية تامة، وهي خطوة للأمام متفوقة على الكتابتين البابلية والأشورية وأنها كتابة أبجدية برموز تصويرية مستوحاة من الكتابة المصرية الهيروغليفية، وتؤرخ هذه الكتابة الشبيهة بالهيروغليفية بالقرن الرابع عشر ق٠م[١٣٢].

عدا نصوص أوغاريت وجبيل، عثر أيضا على نقوش أخرى، يعتقد بعض العلماء أنها تمثل المرحلة الانتقالية في تطور الكتابة قبل الوصول إلى

الحروف الأبجدية الفينيقية فى نقش أحيرام، ومن تلك النقوش التي تمثل المرحلة الانتقالية، تلك الكتابات التي عثر عليها فلندرز بترى F.Petrie فى منطقة تعرف باسم سرابيط الخادم فى وسط شبه جزيرة سيناء، وهى عبارة عن نقوش مصرية بالكتابة الهيروغليفية على لوحات جنائزية، ووصفها بأنها كتابة غريبة بعضها بأحرف تشبه الكتابة الهيروغليفية وبعضها لا تشبهها ، فأطلق عليها أسم الكتابة السينائية ويبلغ عدد حروفها ٢٢ حرفا ساكنا، ووجد أنها ترجع إلى منتصف الألف الثاني ق٠م[١٣٣].

وقد أثارت هذه اللوحات ذات الكتابة الجديدة اهتمام العلماء، نظرا لأن الطابع الغالب عليها هو الكتابة والصور إلى درجة كبيرة ولذلك فهي تحمل شبها مع الكتابة المصرية من ناحية والكتابة الفينيقية من ناحية أخرى ، ولقد أستطاع العالم الأثري ألن جاردنر Sir Alan Gadiner أن يحل بعض رموزها، وأتضح له أن هذه اللغة المكتوبة لغة سامية، ويرجع ذلك إلى أن المصريين القدماء كانوا يستخدمون فى هذه المنطقة عمالا من البدو الساميين للعمل فى المناجم، فقد خضع أناس يتكلمون الساميةمن سيناء لسلطان المصريين ومثلما أخذ المصريون فكرة الكلام التصويري من السومريين (٣٢٠٠ ق٠م) فلعل هؤلاء الناس التقطوا الفكرة واستخدموا بعض التصويرات المصرية للتعبير عن أصوات فى لغتهم[١٣٤].

وهكذا فأن الكتابة السينائية هى الأصل فى الأبجدية، وأن العلامات السينائية هى الحلقة المفقودة بين النماذج الهيروغليفية المصرية والأبجدية الفينيقية التي ظهرت على نقش تابوت أحيرام (شكل رقم ٨)[١٣٥].

وتتكون هذه الكتابة الفينيقية كما يمثلها أقدم نماذجها وهو نقش تابوت أحيرام المتكون من سطرين، من اثنين وعشرين حرفا ساكنا، تختلف عن كل

الكتابات التي سبقتها كالهيروغليفية والمسمارية وهى كتابة محلية فينيقية يعود ظهورها إلى نهاية الألف الثاني ق.م، أي حوالي ١٠٠٠ ق.م[١٣٦]. هذه الحروف تخلصت تماما في شكلها من أي رسم أو صور للأشياء وأصبحت خطوطا مجردة تقريبا. وما من شك فى أن هذه كانت أنجح جميع محاولات العناصر السامية التي نمت خلال الألف الثانية ق.م للوصول إلى طريقة سهلة للكتابة، ولقد ظهر تفوقها بسرعة سواء من ناحية البناء الصوتي أو من ناحية الشكل وأشتق منها عدد من الشعوب السامية الأخرى كتاباتهم كأهل سائر المدن الفينيقية وفلسطين والآراميين[١٣٧].

وهكذا فقد قام الفينيقيون بمجهودات كبيرة في هذا المجال، وسبقوا كل شعوب العالم في اختراع أول أبجدية من نوعها، تناقلتها فيما بعد معظم شعوب العالم فقد كانوا أصحاب اختراع من أكبر الاختراعات البشرية، إذ تركوا الكتابة المعقدة التي كانت مستعملة في أيامهم وحددوا ٢٢ صوتا بسيطا يتيح تسجيل المخارج الساكنة في لغتهم[١٣٨].

ومما سبق نستطيع أن نصل إلى التصور الآتي لنشأة الكتابات القديمة وتطورها:

الهيروغليفية المصرية

↓

كتابة سيناء

↓

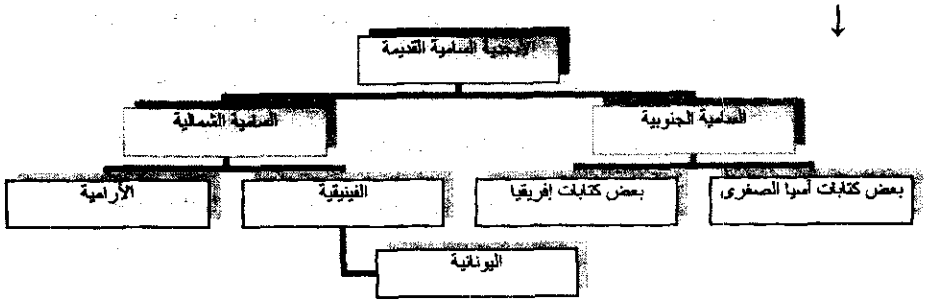

ولقد استطاع الفينيقيون، خلال أسفارهم التجارية واحتكاكهم بكثير من الشعوب، أن ينشروا كتاباتهم دون عناء، ولقد أخذ اليونان عن الفينيقيين أبجديتهم، وذلك فيما بين القرنين التاسع والثامن ق.م، ومن المعروف أنه كان لإغريق موكيناى الآخيين كتابة يونانية حوالي ١٤٠٠ ق.م، هذه الكتابة التي استخدمها الآخيون هى المينوية المعروفة بالكتابة الخطية الثانية Liner Bفاللغة موكينية والخط مينوي الأصل ولكنها اختفت نتيجة لغارات شعوب البحر حوالي ١٢٠٠ق.م، وما لبث الإغريق أن عادوا إلى الكتابة بعد أن طوروا أبجديتهم بالأخذ من الأبجدية السامية[١٣٩].

والبعض يذكر أن استعارة الإغريق للأبجدية الفينيقية ترجع إلى حوالي ١١٠٠ق.م ولم يكن ذلك بسبب وصول الإغريق للشرق وإنما لتحرك الفينيقيين أنفسهم غربا[١٤٠]، بينما أشار البعض الأخر إلا أن اليونان ربما استعاروا الأبجدية الفينيقية حوالي القرن التاسع ق.م، وطوروها خلال القرنين التاليين وفى منتصف القرن السابع ق.م، استقر استخدام الأبجدية المطورة، وذلك بعد أن طوعوها بما يتماشى مع احتياجات لغتهم كلغة هندو أوربية، فحذف اليونان بعض الصوامت وأضافوا أصواتا أخرى، كما حولوا بعض الصوامت الأخرى التي لا يوجد ما يقابلها في اللغة اليونانية إلى حروف متحركة، فأصبحت الأبجدية اليونانية تتكون من ٢٤ حرفا، تتفق مع الترتيب الهجائي الفينيقي. فمثلا أول ثلاثة أحرف في اليونانية ألفا- بيتا- جاما "Alpha-Beta-Gama α–β–γ" تقابل الأحرف الثلاثة الأولى من الفينيقية أليف – بيت- جمل "alph- beth- gimel"[١٤١]. (شكل رقم ٩).

وعندما اتخذ اليونانيين الكتابة الفينيقية – الكنعانية، احتفظوا بنصف الأسماء السامية لأن الأسماء كانت مجردة أو لا معنى لها ومن ثم فالكاف

Kaph صـــارت Kappa "κ" والـ iod صـــارت iota "ι" والـ pe صارت pi "π"، والاستثناء الممكن كان omicron "o" الذي اشتق مـن ال ain اوAin (عين)، وكلمة عين فى اليونانية هى "ομικρ0ν"، ومن هنـا وضع الإغريق خمسة رموز لأصوات ليست فى لغـتهم (العـين والحـاء ٠٠٠٠٠) فكونوا الحروف الصائته (المتحركة). فالحرف يرمز إلـى اسـم وصوت وشكل، ففي حالة العين احتفظ الإغريق بالشكل وأسـقطوا الاسـم الأصلي والصوت، وفى اختيارهم لصوت جديد اختاروا مـا يتوافـق مـع الأصوات الأولى[١٤٢].

ولقد كان التحول من الـسامية إلـى اليونانيـة يـشبه التحـول مـن الهيروغليفية إلى السامية ، فهما لغتان مختلفتان قد اندمجتا، وكـان بمقـدور لليونانيين اقتباس الحروف القادموسية لأنهم حملوا كل من معنى اسم الحرف وشكل الحرف، وبالنسبة لليونانيين كان كل من الاسم والشكل شيئا تجريديا ، فلقد احتفظ الإغريق بالشكل نفسه للروابط الصوتية ل١٢ من الحروف التـي اقتبسوها ولكنهم ادخلوا ١٢ صوتا جديدا (٦حروف متحركـة) و١٢ شـكلا جديدا متطورا[١٤٣].

وهناك تحسين آخر أدخله اليونان وهو تغيير الكتابة من اليمـين إلـى اليسار، ومن اليونان انتقلت الأبجدية في ثوبها الجديد إلـى رومـا وغـرب أوروبا، وهكذا فالأبجدية اليونانية ترجع أصولها إلى الأبجدية الفينيقية. ولقد أشارت الأسطورة اليونانية حول قادموس Cadmus السابق الإشـارة إليـه وهو أبن اجينور Agenor ملك صور، وهو يودع أخته أوروبـا Europa أهداها قلما، والأسطورة بذلك ترمز إلى الغرب ممثلا في اليونان الذين أخذوا أبجديتهم عن الشرق وعن شرق سام بالذات[١٤٤].

وهكذا يجب الاعتراف للفينيقيين بأنهم أصحاب اختراع من أكبر الاختراعات البشرية منذ أن تركوا بإراداتهم الكتابات الكثيرة التي كانت مستعملة في أيامهم ومنذ أن ميزوا ٢٢ صوتا بسيطا تتيح تسجيل المخارج المختلفة الساكنة في لغتهم ومنذ أن ابتكروا نظاما كاملا من العلامات على درجة مدهشة من البساطة متميزا فيه كل حرف لأول وهلة عن سائر الحروف الأخرى.

وأخيرا فهناك من يرى أن الفينيقية عربية على التحقيق، وأن الأبجدية التي يكتبها اليونانيين موافقة بترتيبها حرفا حرفا لترتيب الأبجدية العربية، ولا يختلف هذا الترتيب مرة، إلا إذا تقابل حرف من حروف الحلق بحرف من الحروف التي تقابله في نطق الأوربيين، لأن الأوربيين لا ينطقون الحروف الحلقية، كما هو معروف، فالأبجدية اليونانية تبتدئ بحروف (ألفا – بيتا– جاما– دلتا) "α–β–γ–δ" وهى حروف الألف والباء والجيم والدال في "أبجد" على الترتيب نفسه. ثم تتقابل حروف "هوز" بما يقاربها مع اختلاف نطق الهاء ونطق الواو حين يكون حركة مد عندهم وحرفا منطوقا فى العربية فى بعض الأحيان ، ثم تأتى كلمة "كلمن" متتابعة كما هي في العربية في بعض الأحيان بغير اختلاف، لخلوها من حروف الحلق والمد وهم ينطقونها "كابا – لامدا – مو – نو ν–μ–λ–κ" ويتبعونها ببقية حروف العربية على النحو المشار إليه[١٤٥].

الخاتمة

من الدراسة السابقة يتضح تأثر اليونانيين بالفينيقيين وحضارتهم وأنهم أعجبوا بها إعجابا طاغيا، وعلى الرغم من ذلك إلا أن اليونانيين في الوقت نفسه شعروا بالحقد على الفينيقيين، إذ كان الصراع بين اليونان والفينيقيين تجاريا نتيجة منافسة عنيفة وعمد كثير من الكتاب اليونان إلى اتهامهم بالصفات الدميمة كالسرقة والغش والرشوة، ولعل سبب ذلك هو التنافس الاقتصادي أو ظهور قراصنة فينيقيين فى البحر المتوسط، اذ يقول هيرودوت "إن أيو ابنة إيناكوس Inachos ملك أرجوس الأسطوري بيعت فى مصر، كما اختطف قراصنة فينيقيون كاهنات من طيبة إلى دودونا في ليبيا[١٤٦].

ويقول هوميروس في الأوديسية، "أن الصيدونيين يبالغون في حيلهم، فمن سفنهم السوداء الطويلة يعرضون تحفا رخيصة ، وبعد أن يملئوا بطون سفنهم، يعمدون إلى الرشوة والغش بهدف اختطاف بعض السكان ثم يولون الأدبار"[١٤٧]. ثم يحكى هوميروس على لسان صبى اختطفه قراصنة فينيقيون فيقول " وصلوا يوما وهم بحارة مشهورون ، ولكنهم جشعون وقد حملوا فى سفينتهم السوداء مجموعة من التحف ، وكانت في بيت والدي امرأة فينيقية جميلة هيفاء، ماهرة، فاحتالوا عليها وخدعوها وقرب السفينة هوام، اخذ يغازلها أحد البحارة بكلمات لطيفة فأدار عقلها وسألها بعد ذلك من هي، ومن أين، فقالت إنني فخورة لأنني ولدت في صيدا، المدينة الغنية بالبرونز، إنني ابنة أرياس الثرى ولكن قراصنة تافوس اختطفوني لدى عودتي من الحقول وأتوا بي إلى هنا وباعوني وقبضوا ثمني، مالا كثيرا، فقال لها الفينيقي: ألا تودين العودة معنا إلى بيتك لرؤية أبيك وأمك وبيتهما العالي، فأنهما لا يزالان يعيشان وافري الثراء؟ أجابت نعم بشرط أن تقسموا لي أن تصحبوني

سليمة إلى بيت أبى، فأقسموا، ثم سرقت ما استطاعت من ذهب وما خف حمله من المتاع وابن سيدها وفرت معهم"[١٤٨].

وبالرغم من ذلك فأن إعجاب الإغريق بالفينيقيين ظل قائما مما جعلهم يأخذون عنهم الكثير من المظاهر الحضارية وأهمها كان الأبجدية التي اتخذها الإغريق بعد ذلك، وكانت هي السلف للأبجديات الرومانية الحديثة بل يمكن القول أن كل الأبجديات الأوروبية سلالات للكتابة الفينيقية.

هوامش البحث

[1] محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٢٧٦-٢٧٨.

[2] محمد صبحي عبد الحكيم، أطلس المملكة العربية السعودية والعالم، بيروت، ١٩٩٦، ص ٤٠-٤١.

[3] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ٢٧٩.

[4] محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، بيروت، ١٩٨١، ص ١٨٥- ١٨٦.

[5] إنجيل متى ٢٢/١٥، سفر التكوين ١٠/ ١٥، سفر القضاة ٦١٢:١٠، ١٨، ٧، سفر الملوك ٥: ٢٠.

[6] نقلا عن محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ١٨٦.

[7] فيليب حتى، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة أنيس فريحه، بيروت، ١٩٧٨، ص ٨٢.

[8] ول ديورانت، قصة الحضارة، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦، مج١، ج٢، ص٣١١.

[9] Philon,2,11,9.

هذه الرواية تتشابه مع الدمج الذي أورده ديودوروس بين أوزوريس وقادموس Cadmus في بلاد اليونان

Diodorus,v.57.2.6.

[10] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الشرق القديم، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٤١.

[11] عبد الحكيم الذنون، تاريخ الشرق القديم، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٢٢.

[12] Herodotus, The Histories , L.C.L. 1.1 .

[13] Strabo , Geog.,L.C.L., 1,11,xvi, 27-35.

[14] حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ١١٥.

[15] جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخشن، اللاذقية، ١٩٩٨، ص ٣١.

[16] المرجع نفسه ، ص ٣٢.

[17] شيفمان، مجتع أوغاريت، العلاقات الاقتصادية والبنية الاجتماعيـة، ترجمـة حـسان ميخائيل اسحق، دمشق، ١٩٩٨، ص ١٦.

[18] محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٧.

[19] يوسف الحوراني، لبنان في قيم تاريخه، بحث في فلسفة تاريخ لبنان، المعهد الفينيقـي، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٠٦- ١٠٧.

[20] أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى، ص ٢٨٠.

[21] هذه البردية يقص فيها سنوهى قصة هروبه من مصر نظرا لاضطراب الأوضاع بهـا ولجوئه إلى فينيقيا وأقامته هناك لفترة طويلة، مما يدل على أن هذه المنطقة كانت معروفة تماما للمصريين وعلى علاقة جيدة بمصر: انظر نص البردية، نبيلة عبد الحليم، مـصر القديمة، تاريخها وحضارتها، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٢١٢- ٢١٤.

[22] أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ٢٨٠.

[23] Ramler ,p., History and Religion of Phoenicians , London, 1999, pp. 41-44 .

قارن: فيصل على أسعد الحربي، الفينيقيون في ليبيا من ١١٠٠ ق.م حتى القرن الثـاني الميلادي، بنغازي، ١٩٩٦، ص١٣.

[24] أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ٢٨١.

[25] المرجع نفسه، ص ٢٨١.

[26] المرجع نفسه، ص ٢٨١.

[27] فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة، جورج حداد، بيروت، ١٩٥٨، ج ١، ص ٦٧.

[28] أوجاريت (رأس شمر حاليا) بلدة صغيرة في غربي سوريا على الساحل قرب اللاذقية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الموسوعة العربية العالمية، الريـاض، ط ٢، ٢٠٠٠، ج ١٧، ص ٧٢٧.

[29] Robinson , A, The Story Of Writing, Alphabets, Hheroglyphs, And Pictograms, New York , 1998 , p. 54 .

[30] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ٢٧٩-٢٨٠.

[31] المرجع السابق، ص ٢٧٩.

[32] المرجع السابق، ص٢٨٠.

[33] Herodotus , v11,96-99.

[34] محمد ابو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، ص ١١٥.

[35] فيليب حتى، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية، ص ١٣٤.

[36] Homer , Iliad , v1,377.

[37] فيليب حتى، المرجع السابق، ص ١٣٣.

[38] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ١١٥.

[39] Pliny , N.H , v , 111, 8.

[40] Strabo ,Geog. , L.C.L., vol. ,v11,p.271.

[41] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ٢٧٩ .

[42] حزقيال، ٢٧ / ٩.

[43] Suzanne , B , " Cities And Locations Of Ancient Greece " Washington , 1998 , pp. 41-42 .

[44] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ١٦٧.

[45] Diodorus , xv ii , 41, 42-45.

[46] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ١٨٤.

[47] المرجع نفسه، ص ١٨٤.

[48] Homer , Iliad , vi , 289-291.

[49] Ibid ,xxiii., 743.

[50] أطلق هذا الاسم "ماجو" على شقيق هانيبال، جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة، ربا الخشن، ص٣٠- ٣١ .

[51] Strabo , Geog., xvi , 2-22.

[52] Pausanias, vii, 23

[53] Philostratus,The Life of Apollonius of Tyana ,v,11.

[54] أميل أده، الفينيقيون واكتشاف أمريكا، بيروت، ١٩٩٦، ص ١١-١٢ .

[55] Thucydides , v1,11,2-6.

[56] فرانسو ديكيريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة، عز الدين أحمد عزر، مراجعة وتحقيق،عبد الله الحلو، دمشق، ١٩٩٢، ص ٢٢-٤٢ .

[57] Diodorus , xv, 32.

[58] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ١٠٣- ١٠٦ .

[59] Herodotus , 11, 59 .

[60] Homer , Iliad ,v1, 291 , xx111, 743, Odyssey, x111, 285, x1v, 288.

[61] Bernard , v , Les Phoeniciens et L Odyssee , Colin , 1927, p. 107 .

[62] تماما كما تسود فى العالم اليوم أسماء الأجهزة والأطعمة التي ابتكرتها الحضارة الغربية، أمثال التليفون، التلفزيون، السندويتش والكمبيوتر وما ماثل ذلك .

[63] Pausanias , 1x, 5-1 .

[64] Herodotus , v1 , 47 .

[65] Ibid , 1v , 149 .

[66] Homer , Iliad , x1v , 321 .

[67] Apollonius, Argonautica , 4-16 .

[68] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ٢٤٧ .

[69] Homer , Odyssey,1xx, 179 .

[70] Harvey , P ., ed., The Oxford Companion to Classical Literature , Q.V. Zeus.

[71] Ibid .,Q.V. Adonis.

[72] Baramki , Phoenica and The Phoenicians , Byrout , London , 1961 , p. 26 .

[73] Diodorus , xv , 22.

[74] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ١٠٨ .

[75] محمد غانم، التوسع الفينيقي فى غربي البحر المتوسط، رسالة ماجستير منشورة، الجزائر، بيروت ، ١٩٨٢، ص ٢٠ .

[76] يوسف الحوراني، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

[77] محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية ، ص ٦٤-٦٦ .

[78] Strabo , Geog., 111, 176 .

[79] الملوك الأول، ١٠/ ٢٢ .

[80] محمد غانم، المرجع السابق، ص ٨٧ -٨٩ .

[81] Strabo , Geog., 111 ,2. 13-14 .

[82] Herodotus, 11, 53-60 .

[83] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ٢٤٤ .

[84] المرجع نفسه، ص ٢٤٤-٢٤٥ .

[85] المرجع نفسه، ص ٢٤٥ .

[86] Homer , Odyssey , 1v , 615, xv ,115 .
[87] Ibid , x111 , 742 .

[88] يوسف الحوراني ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

[89] Harvey , op. cit., Q.V . Adonis .
[90] Herodotus , 1, 198.

[91] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ٢٤٩ .

[92] Philon , 11 , 9-10-13.
[93] Homer , Iliad ,xv , 187.

[94] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ١٩٤-١٩٥ .

[95] Homer ,Iliad,xv, 153-179.
[96] Ibid, x111,21.

[97] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ٢٥٠ .

[98] المرجع نفسه، ص ٢٥٠ .

[99] Diodorus,v,58.

[100] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ٢٥٠ .

[101] المرجع نفسه، ص ٢٥١ .

[102] Homer , Iliad,xv,188-191.

[103] يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص ٢٥١ .

[104] Pausanias, 111,9-13.
[105] Homer Iliad ,1,55,x1v,277.
[106] Ibid,1,55.
[107] Ibid, 1 ,56
[108] Strabo , xiv,1.14.
[109] Ibid , 111,5.5.
[110] Herodotus, 11, 58- 59

[111] عبد القادر محمود عبد الله، الكتابة الأبجدية فى مصر القديمة، أول اهتداء لمبدأ الأبجدية، جامعة الملك سعود ، الرياض، ١٤١٦هـ، ص١-٤.

[112] أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق ، ص ٢٨٢.

[113] محمد غانم، المرجع السابق ، ص ٣٧.

[114] المرجع نفسه، ص ٣٧.

[115] المرجع نفسه، ص ٣٨.

[116] جان مازيل، المرجع السابق، ص ٦٣-٦٤.

[117] فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج١ ، ص ١٢١.

[118] المرجع نفسه، ص ١٢٤.

[119] Harden,D , The Phoenicias, London, 1963, P. 83.

[120] Warmingten, B.H. , Carthage, London , 1964,P.74.

[121] عبد اللطيف أحمد على، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، ١٩٧٠، ص١٥-١٦.

[122] المرجع نفسه، ص ٣٣.

[123] يؤرخ لظهور الكتابتين المسمارية والهيروغليفية بحوالي نهاية الألف الرابع ق٠م، هنري فرانكفورت، فجر الحضارة فى الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، بيروت،١٩٥٩، ص ١٢٧-١٤٤.

[124] عبد القادر محمود عبد الله، المرجع السابق ، ص ٤٣.

[125] محمد غانم، المرجع السابق، ص ٣٣.

[126] سيد فرج راشد، تطور الأبجدية فى الشرق القديم، دراسات فى الآثار، جامعة الملك سعود، ١٩٩٢م، ص ١٦١.

[127] شيفمان، المرجع السابق، ص ٩-١٦.

[128] محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، ص ١٨٨.

[129] المرجع نفسه، ص ١٨٨.

[130] محمد غانم، المرجع السابق، ص ٣٤.

[131] سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص ١٦٢- ١٦٣.

[132] المرجع نفسه، ص ١٦٢.

[133] محمد غانم، المرجع السابق، ص ٣٣.

[134] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص١٨٨.

[135] سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص ١٦٦.

[136] محمد غانم، المرجع السابق، ص ٣٥.

[137] سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ٣٥.

[138] محمد غانم، المرجع السابق، ص ٣٥.

[139] سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص ١٢٨، هامش ٢٨.

[140] Naveh, J., Some Sematic Epigraphical Cosiderations On The Antiquity of The Greek Alphabet ,American Journal of Archaeology,77, 1973, P. 1-8

[141] سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص ١٦٩.

[142] المرجع السابق، ص ١٦٩.

[143] Naveh , J, op. cit., P. 10 .

[144] سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص ١٦٩.

[145] عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة العربيـــة والأدب، القـــاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٥.

[146] 146- Herodotus , 1,54,11,56.

[147] Homer , odyssey, xv,115

[148] Ibid..

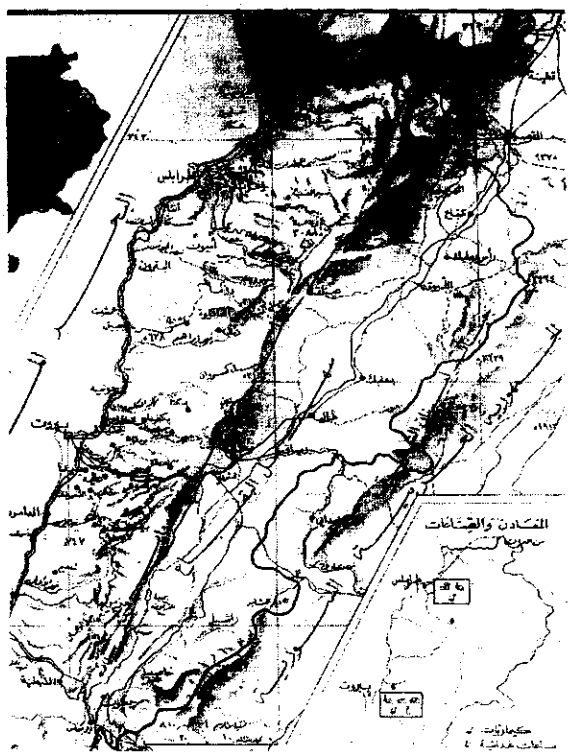

شكل رقم (١) خريطة للساحل الفينيقي

شكل رقم (٢) إناء زجاجي على شكل أمفورا

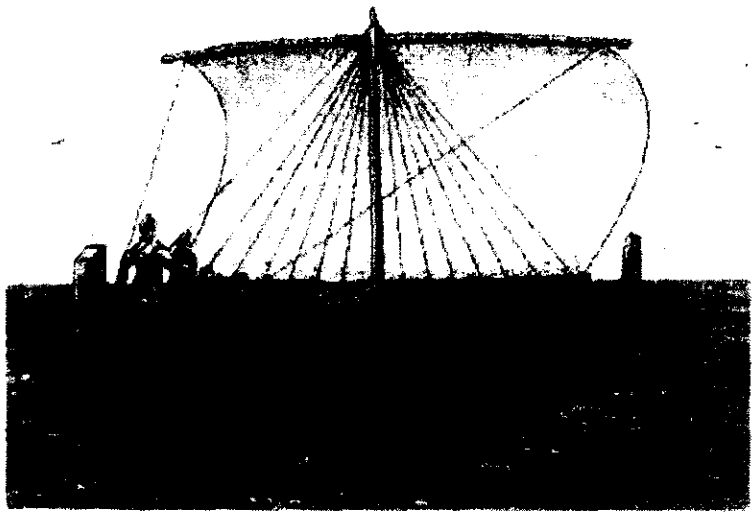

شكل رقم (٣) رسم تخطيطي لسفينة فينيقية

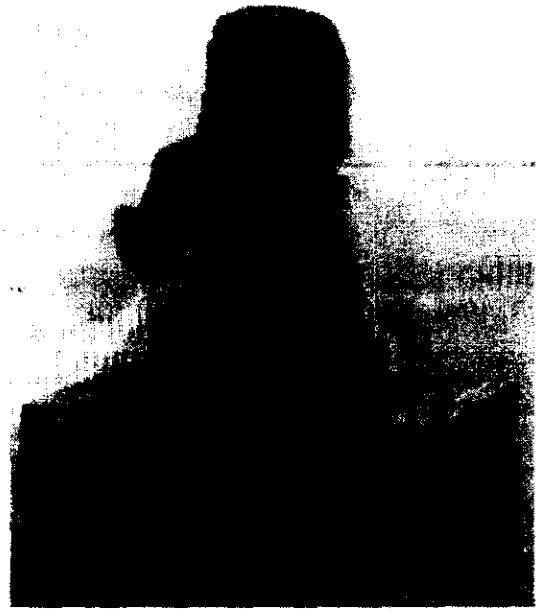

شكل رقم (٤) تمثال للإلهه عشتروت

شكل رقم (٥) بقايا أعمدة فينيقية في أبيزا

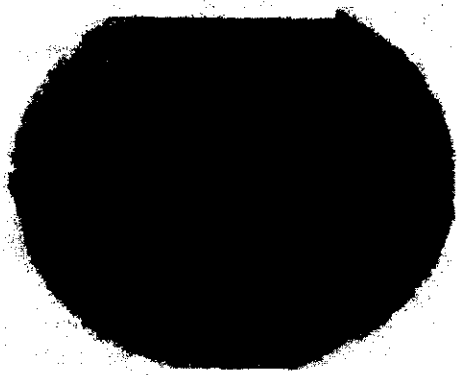

شكل رقم (٦) قطعة عملة تصور أسطورة قادموس

شكل رقم (٧) تابوت أحيرام

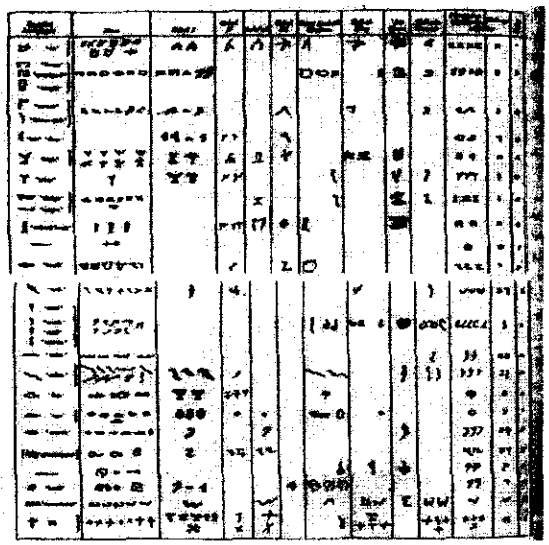

شكل رقم (٨) تطور الأبجدية في الشرق الأدنى القديم

(الأبجدية الهيروغليفية المصرية – السينائية المبكرة والكنعانية في جبيل والفلسطينية المبكرة بالمقارنة مع الأبجدية الفينيقية في جبل بيبلوس) عن درايفر. الكتابات السامية

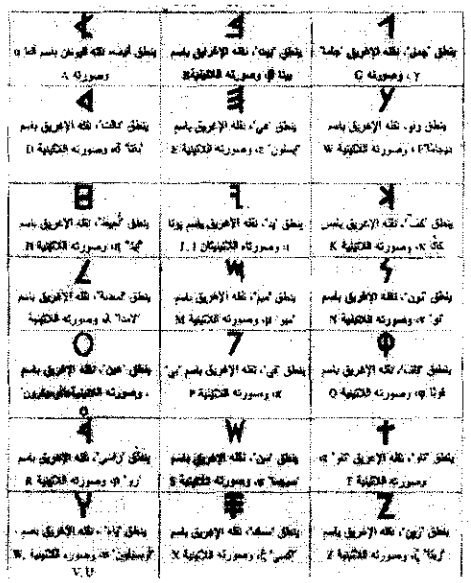

شكل رقم (٩) جدول الحروف الفينيقية